يُعرف من نهمهم وأذاهم للغلات . نجيب انَّ كلامنا عن العصافير الاهليَّة التي تسكن في ظهرانينا في المدن والقرى طول السنة ولا يُعرف جنس آخر سواها في اوربة . امَّا ما يدعوهُ الاهلون بالعصفور الدوري الذي يأتي في آخر الربيع الى نهاية الحصاد ويسمن من غلَّاتنا فلا يعرفهُ اهل اوربة وانَّما هو خاص ببلادنا وآفة من آفاتنا ولذلك لا بأس من صيده ومحاربته على خلاف الجنس المستوطن بيننا فانَّ خدماته اوفر كثيرًا من أذاه ببعض الثمار

ولكن دعنا من الطيور ولنعودنَّ الى الحشرات . أفلا يمكن يا ترى ان نستخدم لمكافحة الحشرات الضارَّة بالزراعة حشرات أُخرى تعاديها وتتلفها وتريح الناس من شرها . هو سؤال القاهُ بعض علماء الزراعة واجابوا عليهِ بالايجاب بعد البحث الدقيق . وهذا ما سنبيّنهُ في الصفحات التالية فنثبت ما يوجد في الطبيعة بعنايته تعالى من التوازن والنظام اذا رُوعيت الشروط المعقولة في ذلك لاكتشاف الحشرات النافعة وتسليطها على الضارَّة ثم لاتخاذ بعض الوسائل لاتلاف هذه الهوامّ المفسدة عند تقصير الحشرات الدافعة عن أداء عملها (١

٥ مقاتلة بعض الحشرات الضارة بأضدادها

﴿ ١ إيسريا بُرخاسي ﴾ أشرنا اجمالًا الى هذه الحشرة (ص ٥٠٢) في مطاوي كلامنا عن الحشرات المتطفلة وانَّما ينبغي العود الى ذكرها لكثرة انتشارها وفظاعة مساوئها حتى في بلادنا الشرقيَّة . اصل هذه الدودة من اوسترالية وهي الد اعداء الاشجار المثمرة . تشبه الشبه التام دودة أُخرى يستفيد منها اهالي الهند بعد تبييضها فيدٌ قونها ويتخذون منها مسحوقًا احمر قاذنا وانَّما هذا الجنس لا بأس منهُ . وبه تعلم كم تختلف الاشباه في منافعها ومضارّها

كانت الرحلة الاولى للدودة الاوستراليَّة على حدائق كاليفورنية . فانَّ اهل تلك البلاد بعد نفود مناجم ذهبها اصبحت موردًا جديدًا لغنى اهلها بما زرعوهُ في تربتها المخصبة من الاشجار المثمرة كالليمون والتفّاح والخوخ والاجاص الخ . فاتت بأثمار غاية

(١ اطلب مجلة الابحاث الدينيَّة Etudes Religieuses, 5 Avril et 5 Mai, 1917; *cfr aussi* Annales de l'Institut agronomique, 2e *Série*. t. vi. fasc. 2, 1917

في البلدة كان يتزاحم عليها أبناء العالمين . فلما كانت السنة ١٨٧٠ لاحظ بعض المالكين ان أشجارهم قد اكتست بقع شبيه بالقطن يعقبها ذبول الى أن تتلف فتقدم الاختصاصيون لفحصها ومعالجتها . فما لبثوا ان وقفوا على سبب الآفة فاذا هي حشرات دقيقة لم تعرف سابقاً في اميركا كانت تساور الاشجار في عدد لا يحصى من ساقها الى ادق اغصانها فتمتص مائيتها . وبعد البحث الطويل تحققوا انها كانت انتقلت من اوستراليا سنة ١٨٦٨ ملتصقة ببعض من اشجار الاكاسيا . ومما ثبت لهم بالتجربة ان كل حشرة منها تتناسل ثلاث مرات في السنة ولا يقل النسل الواحد من ٥٠٠ الى ١٠٠٠ بيضة فيبلغ نسل الواحدة وذريتها في السنة العدد الهولي ١٢٥ مليوناً

انتشرت الدودة بسرعة في انحاء الولايات المتحدة سنة ١٨٧٧ ثم تخطت الى زيلندة الجديدة وبلغت الى مستعمرة الكاب والى جزائر الاوقيانوس الهادي (سنة ١٨٨٩) والمرجح انها هي الدودة عينها التي شاعت في مصر سنة ١٨٨٠ فدعيت هناك باسم إيسريا المصرية (Icerya Ægyptiaca) . وفي السنة ١٨٩٠ ظهرت في البورتغال زاحفة اليها على الاصح من جزائر الأسود . ثم صادت التربة لايطالية قريبا من نابولي وتعدت الى سواحل الشام ثم ارخبيل اليونان فدالماتية فصقلية . ثم انتبت الى نيس جنوبي فرنسة حيث يثمر فيها وحدها شجر الليمون

اما الفخر في اكتشاف الواسطة لمحاربة هذا الداء العياء فانه يعود الى المكتب الزراعي في الولايات المتحدة فان الفرع المختص منه بالحشرات الزراعية كد جيئة وسعى للسعي المتواصل الى أن عرف عدو الايسريا . وذلك ان اعضاء المكتب المذكور اذ بلغهم ان اصل هذه الحشرة من اوسترالية اوفدوا واحداً من علمائهم ليأخذ عنها المعلومات الوافية فيقف على اضرارها والطرائق المستعملة لاتلافها . فما لبث أن وجدها هناك على عدة اشجار من جملتها الاكاسيا لكن الاوستراليين لم يبالوا بها ولم يشعروا بآفاتها . واذ دقق البحث في هذا الامر الغريب وجد ان بعضاً من الهوام الصيادة والحشرات المتطفلة تناصبها القتال فتكاد تتلفها

فلما تحقق ذلك فكر في نقل تلك الحشرات المعادية للايسريا . واذ رأى أن نقلها حية في الحال لتدبر عمرها عمد الى بيضها فركبة على دودة الايسريا ونقلة هكذا بالتبريد الصناعي لكي يصير تفقيسة في الولايات المتحدة . لكن هذه

الامتحانات المجدَّدة مدة سنتين لم تأتِ بنتيجة مُرضية . فجرَّب حينئذٍ العالم الاميركي الحشرات الصيَّادة فاختار منها اجناساً من جملتها حشرة نهمة تدعى نوفيوس كرديناليس (Novius cardinalis) نقلها مع نبات حيّ لتتغذى به في الطريق فجاءت نتيجة عمله طبق المرام ثم رباها في اقفاص فلم يمرّ عليها زمن طويل حتى توطنت البلاد الجديدة وعمّت فيها ثم أُطلق سراحها في الجهات الموبوءة فنظفتها بوقت قليل من دودتها المفسدة . ومن عجيب امر هذه الهامة الصالحة انها تنسل ستّ دفعات في السنة وتبيض كلّ دفعة ٢٠٠ بيضة . فيبلغ عدد مواليد الحشرة الواحدة ومواليد نسلها في السنة ألفي مليار فتأمل !

فتسارع ارباب الزراعة في كلّ الانحاء ان يلتجئوا الى نفس العلاج فأتى بالنتيجة عينها واصبح ضرر الايسريا زهيداً لا يُكترث له

ومن المحتمل أن الظروف تساعد ارباب الزراعة على مناهضة اشكال غيرها من الحشرات الضرَّة بوجود الهوام المعاكسة لها الا ان ذلك يستدعي شروطاً خصوصيَّة لا تتمّ الا بدرس الحشرات وطباعها والاحوال الموافقة لوجدانها والحذر من وقوعها في حكم حشرات متطفّلة تناصبها وغير ذلك

﴿ ٢ الحشرة المتلفة للغابات﴾ هي الفراشة المدعوَّة ليباريس دِسْبار (Liparis dispar) التي المعنا اليها في اوَّل المقالة (ص ٩٤٣) فدونك خلاصة اخبارها . كان في بوستون نحو السنة ١٨٧٠ تاجر فرنسويّ الاصل يبحث عن الحرير واستنتاجه فخطر له أنْ يستحضر من اوربة الفراشة المذكورة ليجرِّب فيالج دودتها لعلَّهُ ينال بها حريراً غير حرير دود القزّ يعتني به . فحدث انَّ القفص المودعة فيه تلك الفراشات انقلب صدفةً فطارت منهُ الفراشات المذكورة وحطَّت على اشجار قريبة . فلم يُبالِ احد بامرها . لكنَّهُ بعد سنين قليلة وجدوا انَّ الغابات المجاورة لبوستون قد تلفت بفعل دودةٍ تحقّقوا أنَّها دودة الليباريس المتناسلة من الفراشات الفارَّة من القفص . ثمَّ سرت الدودة من مقاطعة الى اخرى حتَّى بلغت خمس ولايات متاخمة لولاية مساشوستس فعاثت كلّ العيث في غاباتها وأفسدتها

على انَّ الاميركيين لم يصبروا على هذه الجائحة فاخذوا يبحثون عن الوسائل ليتلفوا تلك الدودة وصرفوا منذ السنة ١٨٧٩ الى ١٩١٣ نيِّفاً ومئة مليون فرنك

لهذه الغاية ليصونوا غاباتهم من شرّ ذلك العدوّ الالدّ ويحرسوا الغابات الممتدة على طول ٦٠٠ كيلومتر التي لتقرُب الدودة ليباريس منها

وفي اثناء ذلك كان مكتب الزروعات في الولايات المتّحدة لا يألو جهده في طلب الدواء لذلك الداء العُضال فوجّه بعض اعضاء فرعهِ المختصّ بدرس الحشرات الى بلاد مختلفة حتّى اقاصي اوربة وآسية كروسيّة واليابان لعلّهم يجدون الحشرة القاتلة لحشرة الليباريس فينقلونها الى اميركة. وكانوا حيثما يحلّون يستخبرون عن وجود الليباريس وطباعها ومضارّها وما يقوم في وجهها من الحشرات المعادية لها. فتوفّقوا الى اكتشاف كثير منها في بلاد شتّى فكانوا يودعونها في صناديق مجهّزة لذلك فيرسلونها الى اميركة ليبحثوا عنها بحثاً حثيثاً ويربّوها تربية نظامية اذا وجدوها صالحة لقاتلة الليباريس. فتراكمت في بوستون تلك الارساليّات واجتمع العلماء الطبيعيّون القيام بأمر الحشرات المتطفّلة على الليباريس وتوليد بيضها وتربية دودها وفحصها بالمجهر لئلا تأوي اليها بزرةٌ هامّةٌ اخرى تقتلها. ففي السنة ١٩١٣ كان هؤلاء العلماء قد تمكّنوا من توطين خمسة اجناس من الحشرات المتطفّلة على الليباريس التهم من انحاء شتّى مع اهتمامهم بتربية غيرها. ولا شكّ انّ الحرب الكونية التي نشبت بعد ذلك بين الدول الاوربيّة آذت ايضاً الحشرات المعدّة لمحاربة الليباريس بقتال عدوة الغابات والفتك بها ونجاة الاحراج منها

٣ الحشرة المفسدة القطن يعلم القرّاء أنّ الولايات الواقعة في جنوبيّ الولايات المتّحدة غنيّة بزارع القطن. لكنّ لهذا النبات اعداء يتسابقون عليه في مقاتله اشدّهم ضرراً به سوسة صغيرة يدعونها بلسان العلم انثونوم « Anthonomus grandis » طولها ٧ ملمترات لها دودة تندسّ عند خروجها من البيضة في حبّة القطن فتقرض خيوطه الثمينة التي بها تجهّز الاكسية البشريّة ومنها ايضاً لنوّ الحظ تتّخذ المواد الانفجاريّة للحرب

كان دخول هذه الحشرة في الولايات المتّحدة سنة ١٨٩٢ زاحفة اليها من بلاد المكسيك فأخذت تعيث في مزارعها القطنيّة وألحقت بها من الاضرار في عشر سنوات ما قدّروا قيمته بمائتين وخمسين مليوناً من الفرنكات دون ان تنجع في مقاتلتها عدّة وسائل توسّل بها الاميركيون ومن جملة ما التجأوا اليه ايضاً الحشرات المعاكسة.

للانثونوم والبالغ عددها ٥٩ صنفاً مختلفاً فأ ادركوا الغاية المقصودة

ثمّ نهض المكتب الزراعيّ وفرعهُ المختص بدرس طباع الحشرات لمساعدتهم ببحثهِ عن خواص حشرة القطن وشروط غذائها ونموها. فتحقّق بالتجربة انّ هذه السوسة تهلك غالبا اذا فرغت من قوتها في الخريف قبل جمودها في الشتاء. فأمروا اصحاب القاطن أن يقلعوا كل الاغراس بعد قطاف قطنها وان يسبقوا زرع الاغراس الجديدة ليعجلوا قطفهُ قبل الخريف فيختاروا لذلك الاجناس السريعة النمو

وممّا وقفوا عليه انّ حشرات اخرى غير الانثونوم تقرض القطن في زمن بلوغها ان لم تجد غيرهُ قوتاً لكنّها في طور حياتها الدوديّة تغتذي من لحم الانثونوم فزرعوا لها حول القاطن نباتاً بريّاً تغتذي منهُ البالغة الى عهد تفقيس بيضها فاذا حان وقت تفقها حصدوا ذلك النبات فتصعد الحشرات على القاطن لتنجو من المجاعة وتنسل عليها دودها الذي يُغير على دودة القطن فينال كثيراً منها. فترى كيف تختلف وجوه القتال على اختلاف الحشرات الضارّة

٤ الحشرة المفسدة للاثمار: دونك ساحة وغى اخرى تحارب فيها ذبابة صغيرة ذات اجنحة شفافة مبرقشة بسواد يدعوها الانكليز بذبابة البحر المتوسط (Mediterranean Fly) واسمها بلسان العلم «Ceratitis capsitata» لها في بلاد اوستراليا الغربية وافريقية الجنوبيّة غارات شعواء على اثمار حدائقها

فمن اين اصلها يا ترى ؟ وما علاجها ؟ فهذا ما بحثت عنهُ حكومة اوسترالية فأوفدت احد علمائها سنة ١٩٠٣ فاستنتج هذا من اسمها الانكليزيّ ان منشأها في سواحل البحر المتوسّط فزار البلاد الواقعة بقربهِ كفرنسة وايطاليا واسبانيا والجزائر وتونس فثبت لديهِ انّ كلّ هذه البلاد تعرفها وتتأذّى منها دون ان تعلم لها بحسم يماديها. فلم ييأس المذكور بل استدلّ من وجودها في اسبانية أنها سرت الى تلك البلاد من المستعمرات الاسبانية او من البلاد التي تعامل اسبانية فزار جزائر الفيليبين والصين واليابان وسواحل الهند دون جدوى. فعاد الى وطنهِ خائباً الا انهُ في السنة التالية ١٩٠٤ وما يليها الى السنة ١٩٠٧ قصد مراراً بلاد البرازيل ثم ولايات الهند فوجد عدّة حشرات صيّادة او متطفلة تُقاتل الذبابة المؤذية لكنّهُ ضاق ذرعاً مع ما توسّل بهِ من الوسائط عن نقلها حيّةً الى بلاد اوسترالية

فبقي الامر كذلك حتى تحنّز احد الايطاليين للتفتيش عن حشرة وافية بالغرض فطاف في جهات المعمور ليفتش عنها وعن حشرة اخرى تترض في ايطالية شجر الزيتون فرجع وبصحبته عدة حشرات صيّادة او متطفلة كان يرجو من تربيتها خيراً . ففي السنة ١٩١٣ كانت الاختبارات جارية جرياً حسناً ولم نعلم ما حدث بعد ذلك . ونكتفي بذكر هذه المساعي لبيان همّة الدول في مقاتلة الحشرات الضارّة بالفلاحة والزراعة وما تتكلّفه من المبالغ الطائلة لصيانة مزروعاتها

§ ٥ الحشرة المفسدة للكمثرى § الكمثرى هو الاجاص في الشام وبه دُعيت هذه الحشرة (Tæniothrips Piri) لانها تعيث به وبالتفاح خصوصاً وهي فراشة من فصيلة الهدبيّات الاجنحة (Thysanoptères) لأهداب توجد في اجنحتها العليا القصيرة . وقد اجتاحت اثار بلاد كاليفورنية والمرجح انها انتقلت اليها من فرنسة او من انكلترة حيث افسدت سابقاً اشجارها فهذه الحشرة كما روى عنها الثقة تمتص مائية الشجرة فتمنع عن النمو براعمها وزهورها وتجعّد اوراقها وتسبّب سقوط ثمرها قبل نضجه . اما مداواة الشجر فتصير بالرش عليها من مزيج البترول والنيكوتين المدوّفين في ماء الصابون فترش اولاً في اوائل آذار قبل الازدهار ثم ترش ثانية بعد ذلك باربعة الى عشرة ايام . واذا استحكم منها العدو فترش ثالثة بعد سقوط ورق زهرها الا انها ترش هذه الدفعة من اسفل الى العلو ليصيب المزيج ظهر الاوراق حيث تعيش الحشرة كما أُصيب باطنها بالرشتين الأوّلين . وفي الخريف تُعزق الارض فتتلف الحشرات الساقطة عليها . وهكذا ينجو الثمر من آفتها

§ ٦ الحشرتان المفسدتان للبرسيم والقت § شاعت حشرة البرسيم (Cécidomie du Trèfle) في ولاية ايلينوا من اعمال اميركة فأفسدت ما شاءت من هذا العلف الثمين . والحشرة المذكورة هامة صغيرة ترصد ذلك النبات عند ازدهاره فتلقي في كل زهرة بيضة من بيضها فاذا نقفت افترست دودتها حبوب البرسيم فلا يبقى منها ما يُزرع للسنة القابلة ثم تتحوّل الدودة الى عروس ثم تكتسي بجناحها في آب فتعيش وتتقلّب في اطوارها الى ان تبلغ تاماً في الربيع وهلمّ جرّاً . اما مقاتلتها فسجاعتها . وذلك بان يُحصد البرسيم قبل ان تقوى الدودة على افتراس حبوبه فييبس وتهلك الدودة بيبسه ويهلك نسلها بهلاكها . أجل ان الزارع يفقد حبوب البرسيم الاّ ان

الاستعاضة عنها سهلة ويأمن في العام التالي من شرور تلك الدويبة

امَّا حشرة الفِصْفِص (luzerne) او القَتّ فقد وجدوا لها عدوًّا يناجزها القتال في جهات نابولي في ايطالية. وهي حشرة صالحة يسعون بتربيتها وتوفيرها ثمَّ يطلقونها في مراعي القتّ فتطهّرها من هوامّها المفسدة

فترى انَّ طرائق الحرب تختلف حسب اختلاف العدوّ وبموجب الاطّلاع على طباعهِ ومعرفة الهوامّ القاتلة لهُ

﴿ ٧ قرادة حُمّى تكساس ﴾ هذه القرادة تشبه ذُبابة الكلب وهي تنفث سمّها في الدوابّ لاسيَّما في جنوبيّ الولايات المتَّحدة فتُضنيها وتُودي بها. وقد توصَّل الاميركيون الى اهلاكها جوعًا بطريقة انيقة وذلك انَّهم دقّقوا في مراقبة طباعها فعرفوا: ١ً انَّها لا تتعرَّض للحيوانات البرّيَّة الصغيرة من ذوات الثدي وانَّما تستهدف البقر والخيل والبغال. ثم ٢ً انَّ الانثى عند وضعها لبيضها الوافر العدد تسقط الى الحضيض. ٣ً ثم ان بيضها لا يفقس الَّا بعد ٢٠ يومًا من وضعهِ فتصعد الدودة فوق اعشاب الحقل وتنتظر هناك مرور احد الدوابّ فتلتصق بهِ. ٤ً ثم اخيرًا انَّها اذا تشبَّثت بهِ تبقى لاصقةً بلحمهِ الى يوم وضع بيضها على خلاف بقيَّة القردان كقراد الكلب مثلًا فانَّها تتساقط على الارض في اطوار حياتها المختلفة

فاستنادًا الى هذه المعلومات اخذوا ينقلون دوابَّهم في زمن وضع القردان لبيضها الى مكان خالٍ منها فيدعونها هناك ٢٠ يومًا فقط فتسقط الاناث على الارض لتفريغ بيضها فعند سقوطها تُنقل الدوابّ الى مأمنٍ من أذاها حيث تستأصل ثانيةً من قردانها الاناث. ثمَّ تُنقل بعد ٢٠ يومًا الى محلّ آخر أنظف وآمن. وفي تلك الاثناء يُفقس البيض وتخرج الدودة فترقى على الأعشاب واذ لا تجد في طريقها دابَّة تلتصق بلحمها تهلك جوعًا وهكذا تنجو الدوابّ من شرّ هذه القردان ثمَّ تطهر منها المروج والمراعي بعد اشهر قليلة وهكذا توارت تلك الحُمّى الخبيثة التي عجز العلماء عن مداواتها

وخلاصة المقال انَّ في الطبيعة حشراتٍ دقيقةً لا يفي بها الاحصاء. وكثيرٌ منها يناصب الانسان في مزدرعاتهِ وماله الناطق والصامت الَّا انَّ الله وضع الدواء موازيًا للداء فعلى المرء ان يبحث عنهُ بجدّ ونشاط دينًا يلقى ما يكفيهِ شرّ اولئك الاعداء وممَّا يجب عليهِ الاحتراس منهُ ان يراقب ما يأتيهِ من الخارج من نبات اجنبيّ

لئلا يلج معه في الوطن الحشرات الضارة. وهذا ممّا يتحتّم خصوصاً على الدواوين والجمارك وفقاً للقوانين التي لم يرعها غالباً عمّال الاتراك في عهدهم بفعل الرشوة

وآخر ما يُستفاد من هذا الدرس ان العدوّ الذليل الحقير ربّما أتى بالأذى الكبير فلا يحسن بالانسان ان يستخفّ به. فكم حقير ذلّ جباراً. وكم تغلب البعوضة الصغيرة رئيس السباع بإبرتها كما قال الشاعر:

لا تحقرنّ عدوّاً في مخاصمة ولو يكون ضعيفَ البطش والجلدِ
فللبعوضة في الجرح المديد يدٌ تنال ما قصرت عنه يدُ الأسدِ

النصرانيّة وادابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر: الفنون الجميلة بين نصارى العرب (تابع)

٤ فنّ الموسيقي والغناء

الموسيقي من اجلّ الفنون الجميلة غايتها تأليف الالحان وتناسب النغمات وتنظيم الاوزان المحركة للنفس تحريكاً ملذّاً. فمنها الموسيقي الطبيعيّة كتلحين الاصوات البشريّة والآليّة المتخذة من آلات الطرب كالعود والارغن. وكلاهما اما دينيّة لتمجيد الله وتحريك القلوب على خدمته واما مدنيّة ليسلو بها الانسان عن الشجانه وتطرب بنغماتها الصدور وتتشنّف بالحانها الآذان فتهيّج في سامعيها مختلف العواطف اللينة او الشديدة المحزنة او المبهجة على حسب ايقاعها. ولذلك قال بعضهم انّ الغناء غذاء الارواح كما انّ الشراب غذاء الاشباح

ولم يكن العرب ليجهلوا هذا الفنّ وبعض اصوله في الجاهليّة كما يؤخذ من

روايات شتّى اثبتها ابو الفرج الاصفهاني في كتابهِ الشهير بالأغاني وربما دلّ على بعض اوزانهِ ونغماتهِ بمفردات كان اصطلح عليها قدماء المغنين فكشف بعض المحدثين شيئاً من اسرارها (١

هذا في غناء اهل الحضر اما عرب البادية فلم يعرفوا ألا القليل من هذا الفنّ كالحداء اشوق ابلهم وكالبسيط من التلاحين يسوّنها بالترنّم والتهليل والسناد والهزج. قال ابن خلدون في المقدّمة (٢: ٣٥٦ من طبعة باريس): «وهذا كله من اوائل التلاحين لا يبعد ان تتفطّن له الطباع من غير تعليم شأن البسائط كلها من الصنائع ولم يزل هذا شأن العرب في بدواتهم وجاهليّتهم

ولا نشكّ انّ نصارى العرب في الجاهليّة احرزوا لهم فخرًا في هذا الفنّ كما احاطوه بالفنون الجميلة السابق ذكرها وذلك في قسمَي الموسيقى الدينيّة والمدنيّة معاً

﴿الموسيقى الدينيّة﴾ اثبتنا في ما سبق لنا من الكلام كم كان لنصارى العرب من كنائس واديار وصوامع ومقامات دينيّة شتّى في كلّ انحاء الجزيرة في شمالها وجنوبها واواسطها. تقام فيها الحفلات الدينيّة. ومن المعلوم انّ الرتب النصرانيّة تباشر غالباً بالغناء والترتيل سواء أُنشدت التسابيح التقويّة او تُليت المزامير والصلوات الفرضيّة وذلك منذ اوائل النصرانيّة كما ورد في رسائل القديس بولس حيث قال لاهل افسس (٥: ١٨–١٩): «امتلئوا من الروح متحاورين فيما بينكم بمزامير وتسابيح واغانيّ روحيّة ومرنّمين ومرتّلين في قلوبكم للربّ». ومثله قوله لاهل كولسيّ (٣: ١٦)

وقد ورد في كتب العرب انّ الرهبان كانوا اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنّموا بالالحان واستراحت اليه انفسهم. وقال الابشيهيّ في المستطرف في كلّ فنّ مستظرف (٢: ١٧٧): «لاهل الرهبانيّة نغمات والحان شجيّة يمجّدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكّرون نعيم الآخرة» وقد قيل في مغنٍّ منهم (ياقوت ٢: ٦٩١)

---

١) اطلب مقالات حضرة الاب كولنجت عن الموسيقى العربيّة في المجلّة الاسيويّة الفرنساويّة Journal Asiatique, 1902

اذا رجّع الانجيل واهتزّ مائدًا تذكَّر محزونٌ وحنّ غريبُ
وهاج لقلبي عند ترجيع صوتهِ بلابلُ اسقامٍ بهِ ووجيبُ

وقيل في غيرهم (٢ :٦٩٥) :

اني طربتُ لرهبانٍ تجاوبهم بالقدسِ بعد هدوِّ الليلِ رُهبانا

وفي الشعر الجاهلي الفاظ اطلقوها على غناء القسوس والرهبان. فيقولون «هيَنم القسّ» اذا نغّم بخفوت الصوت. قال ابن بن حُريم يشير الى تقديس الكأس عند النصارى (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسّ المهينم نارَها طروقًا ولا صلّى على طبخها حبرُ

ومثلهُ «زَمزم» اي طرّب في صوتهِ خفيًا. قال الاعشى في المعنى (شعراء النصرانيّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتها وإن ذُبحت صلّى عليها وزمزما

واذا رفع صوتهُ بالدعاء قالوا «سبّح» وانشدوا :

وما سبّحَ الرهبانُ في كلّ بيعةٍ ابيلُ الابيلين المسيحُ بن مريما

واذا تغنّى القسّ بقراءتهِ قيل شَمَّل. واذا اطلق صوتهُ بالدعاء قيل جأَر. قال ربيعة بن مقروم في وصفهِ راهبًا (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

يجأَر ساعات النيام لربّهِ حتّى تخدّد لحمهُ مُتَشَمّلِ

(قال) المُتشمّل المتغنّي في تلاوة الزبور. وقال عديّ بن زيد النصرانيّ يقسم برئيس دينهِ :

انّي والله فاقبل حلفتي بأبيلٍ كلّما صلّى جأر

وقولهم «رجّع الانجيل» اذا ردّد نغماتهِ في حلقهِ. وقد مرّ. ومثلهُ التلحين في قراءة الانجيل. وجاء في الحديث (ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٩ وفي الجامع الاصغر) : «اياكم ولحون اهل الكتابين. اي التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى فانهم كانوا يُراعون حُسن الصوت ولا يلتفتون الى تدبُّر المعنى» (كذا). فمن هذا كلّهِ ترى ما كان من المقام السنيّ للغناء الديني بين نصارى العرب

ولمّا ظهر الاسلام وشاع القرآن بين اهلهِ اخذوا قراءتهُ وتلحينهُ من قراءة

وتلحين نصارى العرب. روى الفاكهي في كتاب اخبار امّ القرى (ص٩) عن عائشة قالت: سمع النبي صلعم قراءة ابي موسى الاشعريّ فقال: لقد أُوتي هذا من مزامير داود. وجاء في الحديث في الجامع الاصغر (اطلب ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٧و١٩): «سيجيء بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانيّة والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونةٌ قلوبهم بقلوب من يعجبهم شأنهم». وروى ايضاً في الحديث: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وايّاكم لحون اهل الكتابين».

﴿ الموسيقى المدنيَّة ﴾ راجت في الجاهليّة في دور الملوك من تبابعة وغساسنة ومناذرة. وقد عرف القرّاء من فصولنا السابقة نفوذ النصرانيّة بين هؤلاء الملوك الذين تقلّدوا في افراحهم عادات الشعوب المجاورة لهم لا سيَّما اليونان والفرس والروم والدليل على ذلك ما قاله المسعودي في مروج الذهب (٨: ٩٩): «انّ العودَ عند اكثر الامم وجُلِّ الحكماء يونانيٌّ صنعهُ اصحاب الهندسة على هيئة طبائع الانسان». ثمّ انّ كثيراً من الالفاظ الدالّة على ادوات الغناء دخيلة فما استعاروهُ من الروم الارغن (ὄργανον) والبَربط (βάρβιτος) والسَّنطور (ψαλτήριον) والقانون (κανών) والقيثار (κιθάρα) وكانوا يأتون بالقيان الروميّات وغيرهنّ كما روى حسّان بن ثابت في وصفهِ لبعض الحفلات التي احتفل بها ملك غسّان جبلة بن الايهم قال (اغاني ١٦: ١٥): «لقد رأيت عشر قيان خمس روميات يغنّين بالروميّة بالبرابط وخمس يغنّين غناء اهل الحيرة» اهداهنّ اليهِ اياس بن قبيصة

ومنهُ يتّضح انّ الغناء والادوات الموسيقيّة استعارها العرب من الامم المجاورة لا سيَّما النصرانيّة. امّا اهل البادية فبقي هذا الفنّ بينهم في بساطتهِ على موجب معرفتهم الفطريّة. وقد شهد على ذلك ابو الفرج في كتابهِ الاغاني قال يذكر عمر بن الخطّاب اوّل الخلفاء الراشدين ومثلهُ قول ابن خرداذبه (٨: ١٣٩):

«ولا كان الغناء العربي ايضاً عُرف في زمانهِ الّا ما كانت العرب تستعملهُ من النَّصْب والحداء وذلك جارٍ مجرى الإنشاد الّا انّهُ يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت... واوّل من دُوّنت لهُ صنعة منهم (اي من الخلفاء) عمر بن عبد العزيز فانّهُ ذُكر عنهُ انّهُ صنع في ايّام امارتهِ على الحجاز سبعة الحان... ومن الناس من ينكر ان تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة... ولم يوجد في وقت من الاوقات ولا حالٍ من الحالات اشتهر بالغناء ولا عُرف بهِ ولا بمباشرة اهلهِ... وطالقوهم قد ابدعتم اخبار رويت»

. وفي ايام بني امية اشتهر اوّل المغنّين من العرب وهم : ابو يحيى عبيد الله بن سريج المتوفّى بالجذام في زمن هشام بن عبد الملك . ثمّ ابو الخطّاب مسلم بن محرز وكان اصله من الفرس . ثم سعيد بن وهب كان ابوه اسود وكان هو خلاسياً مات في ايام الوليد بن يزيد في دمشق . ثمّ الغريض واسمهُ ابو يزيد وقيل ابو مروان عبد الملك . وابو الوليد مالك بن ابي السمح . وسبقهم ابو عثمان سعيد بن مُسجح وكان في ايام معاوية

ولا شكّ انّ نصارى العراق والروم مع اهل فارس هم الذين علّموا هؤلاء فنّ الغناء . قال ابو الفرج في كتاب الاغاني (ص ٣ : ٨٤) وقوله حجّة في هذا الباب في ترجمة ابن مُسجح انهُ :

« مكّي اسود مغنٍّ متقدّم من فحول المغنّين واكابرهم واوّل من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس الى غناء العرب ثمّ رحل الى الشام واخذ الحان الروم والبربطيّة والاسطوخوسيّة (اي تنظيم الاوزان (?)) وانقلب الى فارس فاخذ بها غناء كثيرًا وتعلّم الضرب . ثمّ قدم الى الحجاز وقد اخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استقبحهُ من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنّى على هذا المذهب فكان اوّل من اثبت ذلك ولحّنهُ وتبعهُ الناس بعد ... وهو الذي علّم ابن سريج والغريض »

وجاء لهُ في محلّ آخر عن الغريض (٢ : ١٤٦) :

« قال هارون بن محمّد الزيّات حدّثني حمّاد بن اسحاق عن ابيهِ انّ الغريض سمع اصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها فقال لهُ مَنْ معهُ : يا ابا يزيد صُغ على مثل هذا الصوت لحنًا فصاغ مثلهُ في شعر : « يا امُّ بكرٍ ... » فما سُمع باحسن منهُ »

فترى تأثير غناء النصارى والرهبان في الغناء العربيّ في الاسلام . ولنا ما هو اشهر من ذلك نريد بهِ ترجمة بعض المغنّين من الذين ذكرهم ابو الفرج وغيرهُ من كتبة العرب . فمنهم حُنَين الحيري من فحول المغنّين روى ابو الفرج ترجمتهُ (١ في الاغاني (٢ : ١٢٠–١٢٧) وقال هناك انهُ من العباديين والخوالة من بني الحرث ابن كعب النصارى كان في ايام بني اميّة وهو من اهل الحيرة وكان مغرمًا بالغناء فاشتغل الى أن نبغ فيهِ وفي صناعة العود وكان نسيج وحدهِ في العراق فبلغ خبرهُ المغنّين في الحجاز ابن سريج والغريض ومعبد فكتبوا اليهِ ووجّهوا اليهِ نفقة

١) اطلب مجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (Journ. As., 1871[b], 425-433)

ليشخص اليهم فخرج الى الحجاز ومات في بيت سكينة بنت الحسين بن علي ابي طالب وذلك لأن الناس كانوا ازدحموا على سطح بيتها ليسمعوا غناءه فسقط الرواق ومات حنين تحت الردم . وجاء في الفهرست لابن النديم (ص ١٤١) انَّ لاسحاق الموصلي كتاباً في اخبار حُنين الحيري

واشتهر في الغناء في اوائل الاسلام من النصارى غير حنين . منهم عَون الحيري وكان عبادياً ايضاً ذكرهُ صاحب الاغاني (٢١ : ١٢٥ و١٠ : ١٣٥) . وذكر برصوما الزامر (٥ : ٣٤ و٤٦ الخ) وذكر غير هؤلاء الحيريين وبه يثبت قولنا انَّ للنصرانيَّة في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام فضلاً في اشاعة الغناء والموسيقى العاميَّة والدينيَّة كما اشاعوا بين العرب الغناء والموسيقى الدينيَّة . وكانت طريقتهم في الغناء على النمط القديم المستحسن الى ان اشتهر في ايَّام الرشيد اخوه ابراهيم بن المهدي الذي قال عنهُ ابو الفرج في الاغاني (٩ : ٣٥) انهُ « هو اوَّل من افسد الغناء القديم وجعل للناس طريقاً الى الجسارة على تغييره » (لهُ بقيَّة)

كيف يقرأ ويكتب العميان

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

انَّ العمى لمن أعظم العاهات التي تصيب الانسان في هذا وادي الدموع فتنغص عيشهُ حتَّى يعاف الحياة . يا لها من ليالٍ ليلاء يهيم فيها الضرير آناء الليل واطراف النهار لا يتمتَّع ولو ثانيةً في عمرهِ بلذَّة النور وبهاء الطبيعة وجمال مواليدها المختلفة فكأنَّي بهِ مَيتٌ قبل مماتهِ ميتٌ يجول بين الاحياء ويكاد لا يستمدّ شيئاً يُذكر من خيرات الحياة وحظوظها . ولو فرضنا انهُ تعلم حرفةً ومارسها لكسب معاشهِ بدون ان يمدَّ يدهُ مستعطياً فانَّما ذلك يكفل لهُ حياتهُ المادّية . امَّا الحياة العقليَّة التي تفوق الاولى تفوّق الانسان على العجماوات فأنَّى لهُ ان يُغذيها ويُنميها وهو لا يستطيع المطالعة ولا الكتابة وكلتاهما — ولاسيَّما القراءة — اهمُّ والزم الوسائط

لبلوغ تلك الغاية ؟ ولو اعتبرنا ان اشغال الضرير اليدوية محصورة في دائرة ضيقة ومن جهة اخرى انهُ في غالب الاحيان محروم من مؤانسة بني جنسهِ معتزل عنهم نوعاً فانهُ ليتبادر الى اذهاننا ان فاقد البصر لأشدّ حاجة من سواه الى تفكيه خاطره وتثقيف عقله بمطالعة بعض الكتب الشيقة المفيدة فان الكتاب للاعمى بمثابة لوح النجاة للغريق. هو نديمهُ وسميرهُ وانيسهُ وجليسهُ في كل آن واين يؤاسيهِ مرارة محنتهِ ويُتحف عقلهُ بانواع المعلومات. ينتشلهُ من عالم الحقيقة المحسوسة المؤلمة فيصعد بهِ على اجنحة الفكر الى عالم الحقائق المعقولة السارّة. فلا غرو أن قال احد العميان: «منذ تمكنتُ بقراءة الكتب شعرتُ بنفسي مبعوثةً من ظلمة قبرها عائدةً الى الحياة والنور والحريّة العقليّة ! »

والحالة هذه فما اعظم الخدمة التي اداها الى الاضراء وفي شخصهم الى العائلة البشرية جمعاء اولئك رجال الهمّة والاريحيّة الذين لم يدّخروا وسعهم في اختراع الوسائط والأدوات اللازمة لتمكين العميان من القراءة والكتابة بسهولة نوعية هؤلاء هم لعمري اهل لأن تدوَّن اسماؤهم باحرف ذهبيةٍ في تواريخ كل الشعوب المتمدنة وان تُنصب لهم في اكبر عواصم الارض تماثيل رائعة تخلد ذكرهم

وفي مقدمة اولئك الابطال العظام شخصان فرنسويان وضع اولهما واسمهُ فالنتان هاوي (Valentin Haüy ١) طريقة كتابة العميان فحسّنها الآخر وهو لويس برايل (Louis Braille) واوصلها الى اوج الكمال وقد دخلت في حيز الاستعمال في سنة ١٨٢٥ اعني منذ نحو جيل وهي لا تزال مستعملة اليوم في كل الاقطار. وقد توخيتُ في هذه المقالة ان اقدّم للقرّاء هذين البطلين بعبارات وجيزة ثم ان اعرض لهم اختراعاتهما المدهشة التي كادت تساوي بين الضرير والباصر

١ المحسنان العظيمان الى الاضراء

١ فالنتان هاوي ١٧٤٥—١٨٢٢ كان موظفاً بدائرة الاشغال الخارجية فعنَّ لهُ ان يكرّس نفسهُ لتهذيب العميان كما فعل الكاهن الفرنسوي دي ليباي (de l'Epée) من اجل الخُرس والصمّ - فاخترع لهم الكتابة والطبع بالحروف النافرة وأسس في باريس سنة ١٧٨٤ داراً للعميان الاحداث تملكتها الحكومة فيما

بعد وسمّتها المؤسسة الشهيرة لناشئة العميان وهي اول مدرسة عميان أُنشئت في العالم ولما زاد نفوذه في باريس نفاه القنصل نابليون فترك باريس سنة ١٨٠٦ متّجهاً الى بطرسبرج حيث أسس مدرسة للعميان ولدى مروره ببرلين حثّ اولي الاريحيّة والمنّة على تأسيس مدرسة اخرى . ولم يعد الى فرنسة الا سنة ١٨١٧ خمس سنوات قبل وفاته . وله مؤلف عنوانه : بحث في تهذيب العميان (١٧٨٦).

﴿ ٢ لويس براي (١٨٠٩—١٨٥٢) ﴾ أُصيب بالعمى في الثالثة من عمره على إثر جرح في عينه فدخل في مؤسسة ناشئة العميان سنة ١٨١٩ وانكبّ فيها على دراسة الموسيقى ودق الارغن في كثير من كنائس باريس ثم عُيّن مدرساً بمدرسة العميان فوضع مؤلفات لتلامذته ثم اخترع من اجلهم كتابة جديدة احرفها مكوّنة من نقط نافرة . فاقتدروا بها على كتابة بعض المذكرات اثناء التدريس وفروض الاملاء والانشاء بسرعة غريبة نسبةً الى ما عاهدتهم . وقد توصّل براي بعد ذلك الى تطبيق اختراعه لكتابة الموسيقى . وبعد وفاته بخمس وعشرين سنة على إثر اكتتاب شعبي اقيم تذكاراً لذلك الرجل العظيم خادم الانسانية تمثالٌ جميل في مسقط رأسه كثره .

٢ اختراعهما لطريقتي كتابة العميان

﴿ اختراع فالنتان هاوي ﴾ هو الشهم الوطني الذي اوحت اليه رأفته على العميان ان ينشلهم من مخالب الفقر المدقع بترشيحهم للتهذيب اي متمكّنين من القراءة والكتابة . ولما كان عارفاً بدقة حاسة اللمس فيهم خطر على باله ان يضع لهم كتباً ذات احرف نافئة لا تختلف كثيراً عن الاحرف المعتادة لغير انها اكبر حجماً وأبسط شكلاً . ولطبع تلك الكتب تُستخدم احرف طبع معدنية نافئة تُصفّ سطوراً في قالب ثم تُضغط فوق صحائف من الورق السميك المبلل بقليل من الماء ليزداد مرونة . فبعد ذلك الضغط تظهر الاحرف نافئة في نفس الورق .

الحق يقال انّ تجارب «هاوي» الطويلة لم تأتِ بالنتيجة المأمولة ولم تُكلَّل بالنجاح الباهر الذي كان المخترع اهلاً له بطول صبره وصدق عزمه وسمو غايته . فما عتم الاختبار ان يُظهر نقائص طريقته باجلى مظهر . فمنها انّ ادنى كتاب كان يستوجب

المجلدات الضخمة لطبعه على اسلوب «هاوي» . وذلك اولاً لتكبير حجم الاحرف وثانياً لاستحالة الكتابة على وجهي كل ورقة . وزد على ذلك بطء القراءة لاضطرار السبابة القارئة بالتنقل على كل اجزاء الحرف الواحد قصداً لتمييزه . وعلى كل حال فان كان فالنتان هاوي باختراعه هذا مكّن العميان من القراءة فلم يُقدرهم بتاتاً على الكتابة فأنى لهم ان يرسموا على ورق غليظ احرفاً كبيرة نافرة يُربي عددها على المئات في صحيفة واحدة . بيد ان ذلك الهمام كان اول من فكّر في استنباط اسلوب ما لتأهيل الاضراء للقراءة وكفاه بسبقه الجميع فخراً في عين كل الشعوب على مدى الدهور . هو اوّل من نهج منهجاً في مفازة لم يتجاسر قبلهُ احد على اجتيازها حتى ولد «لويس براي» وقوّم المنهج المعوج وحسّنه ووسّعه فجعله مهيّعاً يسلكه الآن الألوف ممن حرموا البصر في كل اقطار العالم

﴿ اختراع لويس براي ﴾ كما اسلفنا في نبذتنا عن ذلك الرجل الهمام ان السنة ١٨٢٥ كانت تاريخ ابتكاره العجيب الذي تلاشت به كل نواقص طريقة هاوي . وضع «براي» أحرفاً جديدة مركبة من نقط نافرة يتراوح عددها بين واحدة وست . فلترسم ست نقط على خطين عاموديين ⠿ ولنجعل مجموعها اشارة لحرف ما

فاذا حذفنا من هذا المجموع نقطة كان عدد الاشكال الخماسية ستة هكذا :

⠾ ⠷ ⠯ ⠟ ⠻ ⠽ واذا حذفنا نقطتين كان عدد الاشكال الرباعية خمسة عشر .

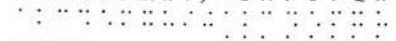
وكذلك اذا حُذفت ثلاث نقط امكن تشكيل الثلاث الباقية ٢٠ شكلاً . وبحذف اربع نقط تشكّل النقطتان الباقيتان ١٥ شكلاً وان حذفت خمس نقط امكن وضع المفردة الباقية على ستة اوضاع فينتج عن ذلك ان عدد كل الاشكال المختلفة ثلاثة وستون فهي كافية بل تزيد عن الحاجة للدلالة على الاحرف الهجائية والارقام العشرية والعلامات الموسيقية . فلنسرد الآن مزايا ذلك الاسلوب العجيب في بساطته :

(اولاً) اذا كانت كل النقط ذات نتوء ملائم والبون الفاصل بين كلّ منها وجاراتها معتدلاً فبمجرد لمس السبابة يقف الاعمى على ماهيّة الحرف بدون حاجة الى نقل اصبعه من جهة الى اخرى كما في اسلوب «هاوي» . فمن البديهي انه لا مناسبة

من قبيل السهولة والسرعة بين الاحساس لماَّ بشكل ⁖ وشكل R . والاوَّل هو الراء في طريقة براي . فيترتب على ما سبق ان قراءة الاعمى وفقاً للاسلوب الجديد قائمة في مجرَّد زلوج السبَّابة من اول السطر الى آخره . ولمَّا كانت حاسَّة اللمس ذات دقة غريبة في العميان ولا سيَّما الاحداث منهم فبعد التمرين المتواتر يتوصَّلون الى قراءة ١٥٠ كلمة في الدقيقة وذلك معظم سرعة التلاوة بصوت مرتفع وتكاد تبلغ مُعظم سرعة الكلام فتأمل!

وهاك احرف براي للغة الفرنسويَّة وغيرها من اللغات الاوربية التي تكتب بنفس الاحرف الفرنسوية :

A B C D E F G H I J K L M N O P Q R



S T U V W X Y Z



امَّا الارقام العشرة فيُعبَّر عنها بالاحرف العشرة الاولى بتقديم هذه الاشارة × عليها . فالالف (٠) تنوب عن ١ والباء (⁚) عن ٢ وهلمَّ جرًّا . ويوجد ايضاً علامات فاصلة للعبارات كالنقطة وعلامة للاستفهام الخ واشارات خاصَّة لكتابة الموسيقى

ثانياً طريقة براي تمكّن الاعمى ليس فقط من القراءة بل من الكتابة ايضاً وهذه كانت ضالَّة براي المنشودة . ودونك وصف الاداة البسيطة التي اوجدها لبلوغ هذه الغاية . يستخدم الضرير مُنْبِكاً يضغط به على ورقة موضوعة على صفيحة معدنيَّة مستطيلة بعرض الورق وعليها اخاديد يسيرة العُمق متوازية متساوية الابتعاد الواحد من الآخر . والبَون الفاصل بين كلّ منها وجاره هو نفس الذي يتوسَّط في الكتابة بين كل نقطة والتي فوقها او تحتها . فاذا اراد الاعمى ان يكتب حرف السلام مثلاً ورسمهُ هكذا ⁝ فانهُ يضغط بمنبكه على الورقة فوق الاخدود الاعلى من الصفيحة المعدنية ثم يعيد الضغط تحت الوضع الاول وفوق الاخدود الثاني واخيراً تحت الوضع الثاني وفوق الاخدود الثالث . انما كل الصعوبة للاعمى محصورة في الانتقال من

الخدود الى التالي بسرعة دون ان يخطئ الرمي لئلا يُشوه رسم الحرف فتتعذر قراءته . واذا فرضنا انه يريد كتابة ie ورسمها كذا . ⁚ . فالصعوبة الجديدة هي

ترك البون المناسب بين الحرفين حيث يلزم مبدئياً إخلاء مساحات متساوية لكل الاحرف اياً كان عدد نقطها وذلك دفعاً لكل التباس ينتج من عدم مراعاة تلك القاعدة الاساسية . وقد عالج لويس براي بقريحته الوقادة هاتين المشكلتين وابتكر لهما دواء شافياً هو آية في الذكاء والبساطة . جعل براي فوق ورقة الكتابة صفيحة معدنية ذات ثقوب مربعة مصفوفة في ثلاثة او اربعة صفوف متوازية فكل صف يقابل سطراً من القرطاس وكل ثقب حرفاً من السطور والصحيفة العليا المثقوبة موصولة بمفصلة بالصفيحة السفلى ذات الاخاديد . وتحت كل ثقب ثلاثة اخاديد مقابلة لثلاثة اوضاع النقط الثالثة

هذا اسلوب « براي » للكتابة . اما الطبع فانه يتم بواسطة احرف مسبوكة من رصاص ممزوج تُركب في قوالب مخصوصة كما في المطابع الاعتيادية . وجدير بالملاحظة ان كثيراً من منضدي مطابع العميان هم اضراء وعامتهم لا تنقصهم عن مجاراة رصفائهم الباصرين في اتقان العمل ولو كانوا اقل سرعة لحاجتهم الى قراءة ما يلزم طبعه بالسبابة ليس بالعين . ومتى انتهى الصفاف من ترتيب الاحرف في قالب موازٍ لصفيحة فانه يضع عليه ورقة سميكة مرطبة بالماء فوقها قطعة نسيج من الصوف او القطن يضغط عليها ضغطاً شديداً بلازم فتنطبع الاحرف على الورق نافرة بدون ان تثقبه وذلك لتوسط النسيج الرخو بين اللازم والورق

٣ تقدم الطباعة للعميان بعد « براي »

من اجل تعجيل العمل قد استُخدمت بالشطر الثاني من الجيل المنصرم في مطابع العميان الطريقة الشائعة في سائر المطابع تحت اسم الاستريوتيبية (اي التنجيس) : فبدلاً من ان تُصف احرف الطبع في القوالب — ولا يخفى ما في ذلك من طول الشغل وكثرة النفقة خصوصاً اذا حُفظت القوالب لاعادة الطبع — تُكتب كل صحيفة على النحاس او الزنك بمثقب مخصوص . ولا مانع حينئذ من حفظ الصحائف المعدنية هذه للطبعات المتوالية . ومن الفوائد الجمة الناتجة عن هذه الطريقة بخلاف الاخرى

ان الطبّاع العميان لا يلتزم بطبع عدد عظيم من النسخ دفعة واحدة فيصعب عليه ان يجد من يشتريها لقلة عدد الاضراء (١)

ثم انّ ضخامة غريبة في حجم تلك الكتب فان كل حرف يبلغ ٧ مليمترات طولاً و ٥ عرضاً واحرف الطبع المعتادة لا تسع عُشر تلك المساحة . فالتوراة للعميان التي نشرتها شركة التوراة باللغة الانكليزية واللغات الاجنبية تحتوي على ٣٩ مجلداً و ٥٨٠٠ صحيفة كلٌ منها بحجم ثلاث من صحائف المشرق . ونفقات طبع كل نسخة على تلك الشركة التي تنشر الملايين من نسخ الكتاب المقدس في نحو ٤٠٠ لغة تبلغ خمس ليرات انكليزية . فهذا الغلاء الفاحش هو الآفة الكبرى الحائلة دون تقدم فن الطباعة باحرف نافئة على طريقة « براي » رغماً عن التحسينات الجزئية التي أُدخلت فيه اثناء الشطر الثاني من الجيل الاخير

ومن هذه التحسينات توفير نصف كمية الورق اللازم بالطبع على وجهي كل ورقة . فقد كانوا في اول الامر يطبعون على احد الوجهين ليس الّا . ثم زادوا البون الفاصل بين الأسطر فاستطاعوا الطبع على الوجهين بحيث تُقابل اسطر الوجه الاول الخلاء الفاصل بين اسطر الثاني ولكنهم لم يستفيدوا كثيراً بذلك للزوم توسيع المسافة الحائلة بين الاسطر على الصحيفتين . واخيراً قد توصلوا الى الطبع على كلا الوجهين بدون ذلك التوسيع مع تسهيل القراءة وذلك باستخدام وسيلة تمنع التباس النقط النافئة على احد الوجهين بنقرها مجوّفة على الوجه الآخر . وهذه الوسيلة مبنية على تساوي المسافات الفاصلة بين كل نقطة وجاراتها في طريقة براي . فلاجتناب الالتباس المشار اليه يكفي ان تُكتب النقط العليا من كل سطر من الوجه الثاني بين النقط العليا والنقط المتوسطة من السطر المقابل في الوجه الاول . فلم ينسَ القارئ ان احرف براي مركبة من نقط تُكتب في ثلاث طبقات الواحدة فوق الاخرى . وقد طُبقت هذه الطريقة على صناعة التجليد كما يلي : تُطوى صحيفة نحاسية الى قسمين متساويين ثم يكتب الشكل على احد الجانبين الخارجيين صفحة تُرسم بحروف نافئة على احد الجانبين الداخليين ثم تُعاد هذه العملية على الجانب الخارجي الآخر فتُرسم الصفحة

١) يبلغ عدد العميان واحداً من الف شخص في اوربة الوسطى وانكلترة وفرنسة حيث كان عدد العميان نحو ٣٠٠٠٠ . وبلغ احصاء عميان الجزائر (Algérie) حول السنة ١٨٨٥

الثانية على الجانب الداخلي الآخر . فاذا تمَّ ذلك جعلت ورقة الطبع بين الجانبين الداخليين وضغطت بشدة بينهما فتنطبع عليها الصحيفتان في آن واحد

ولم تقف التحسينات عند هذا الحد . فقد اخترعت آلاتٌ للكتابة وغيرها للطبع بصفائح النحاس لكل منها ستة دساتين مقابلة للنقط الست التي تتكون منها كل الاحرف . فالاصابع الثلاثة المتوسطة في كل يد تحرك من الثلاثة الدساتين التي تحتها ما يلزم لطبع الحرف المراد على القرطاس او النحاس . وبما ان اليدين عاملتان معاً فيستطيع الاعمى الكاتب الطباع ان يجاري الباصر في سرعة الكتابة او الطبع حيث ان كل حرف يكتب على الورق او يطبع على النحاس دفعة واحدة

٤ تأسيس جمعية فالنتاين هاوي بباريس سنة ١٨٨٣

ورغماً عن التحسينات السابق ذكرها قلما كان طباعو كتب العميان ينشرون مؤلفات جديدة نظراً الى قلة الربح وغلاء الطبع . فان سبعة او ثمانية كتب ذات ٢٠٠ صحيفة من قطع الثمن يزن كل منها كيلوغراماً ونيفاً توازي بمادتها كتاباً اعتيادياً من قطع ١/١٦ . فانَّ تأليف المؤرخ الفرنسوي الشهير ألبار سورل المعنون «اوربة والثورة الفرنسوية» قد طبع للعميان في ١١٤ مجلداً كان كل منها قبل الحرب يساوي نحو ٧ فرنكات والمجموع نحو ٥٠٠ فرنك ! فكم من الاضراء تمنعهم قلة ذات اليد من اقتناء مثل هذه الكتب النفيسة ! ولذلك بقيت مطابع العميان قليلة جداً حتى اليوم يكاد جميعها بفرنسة ينحصر في التي يلي ذكرها : ١) مطبعة مؤسسة للعميان الاحداث التي سبق لنا الكلام عنها . ٢) مطبعة راهبات مار بولس الضريرات في باريس . ٣) مطبعة منارة فرنسة (Le Phare de France) التي كانت تنشر اثناء الحرب بضعة كتب جديدة شهرياً . ٤) مطبعة جمعية فالنتان هاوي التي أسسها في باريس المسيو دي لا سيزران (de la Sizeranne) سنة ١٨٨٣ .

وقد اشترت هذه الجمعية الخيرية الشونية كل ما يزول لخير العميان ادوات للطبع بصفائح النحاس هي اكمل ما اخترع في الآونة الاخيرة . لكنها وقفت بعد الاختبار الطويل على كثرة العقبات الحائلة دون طبع كتب كثيرة فابتكرت طريقة اسهل لبلوغ مآربها وفي طريقة النسخ بواسطة آلات الكتابة الموصوفة آنفاً . وحيث ان

الجمعية تستدعي كل اصحاب الهمم العالية والقلوب الرؤوفة الى موآزرتها في هذا العمل المبرور فترى في باريس وغيرها من مدن فرنسة مئات من الرجال والنساء والشبان والاطفال انفسهم يتعلمون احرف براي ويستلمون من الجمعية آلات الكتابة الأحدث طرزاً فينسخون بواسطتها وبغاية السرعة المؤلفات المطلوب منهم نسخها. ومن هؤلاء النساخ المتفانين لخدمة العميان مَن استطاع نسخ مادة ٢٥ كتاباً بحروف ناتئة في سنة واحدة! فلا غرو ان كانت خزانة كتب الجمعية زادت عدد كتبها من المائة حول سنة ١٨٨٥ الى الخمسين الفاً عند انتشاب الحرب الكونية. وهذا العدد يقابل ١٢٠٠٠ مؤلف فيعادل كلّ مؤلف نحو اربعة كتب للعميان. ولا تزال كنوز هذه الخزانة تزداد يوماً فيوماً (١). وليست الخزانة مفتوحة فقط لكل الاضراء، بل انها تُقرض كتبها وترسلها الى كل من يطلبها من كل انحاء فرنسة وسائر اقطار العالم. واكثر ما يُستقرض منها الروايات ثم كتب التاريخ والفلسفة والعلوم التي يرغب العميان في قراءتها اكثر مما يُزعم عنهم. وهناك ايضاً كُتيبات ظريفة سهلة المطالعة للأطفال الكُمه. هـذا ما خلا عدداً كبيراً من المؤلفات الموسيقية الشهيرة المطبوعة كما اشرنا بعلامات ناتئة مخصوصة يقرأها الاعمى بسبّابته اليسرى مثلاً ويدقّ على البيانو بيمناه ثم يعكس العملية وبعد التمرين المتواتر يستطيع ان يأتي بالقطعة الموسيقية تاماً عن ظهر القلب وذلك من اغرب ما توصلت اليه مهارة العقل البشري!

ومُعدَّل ما يطالعه قرَّاء تلك الخزانة كتابان في الاسبوع اعني نحو مائة كتاب في السنة غير ان بعضهم يقرأون مئات من الكتب سنوياً. وكفى بذلك شاهداً على عظم اللذة والسُّلوى التي يذوقها الضرير بالمطالعة. كان معدَّل ما تقرضه الخزانة قبل الحرب ثلاثة آلاف كتاب شهرياً وقد زاد الآن ذلك العدد زيادة عظيمة بازدياد عدد الذين فقدوا بصرهم في السنين الاخيرة في الحرب الضروس التي لم يعهد لها من مثيل في تواريخ الامم. ومن غريب امر تلك الكتب ان الكتاب يُقرأ الف مرة ولا يزال صالحاً للقراءة رغماً عن احتكاك الف سبّابة على كل من حروفه وهي

(١) ورد في الانباء الاخيرة انَّ في خزانة الكتب التي انشأتها جمعية فالنتان هواي حاضراً مئة وخمسون الف كتاب ثم عشرة آلاف اخرى من التآليف الموسيقية

كما هو معلوم عبارة عن نُقط نافئة نتوءًا يسيرًا — ولهذه الكتب طريقة تجليد خصوصية تمنع ضغط الصحائف بعضها على بعض فلا يزول او ينقص نتوء احرفها

خزانة الكتب النفيسة للعميان في لندن

تلك الخزانة هي بدون مراء من اعجب مؤسسات العالم التمدن بسرعة ترقيها رغمًا عن حادثة نشأتها . اسستها في السنة ١٨٨٢ امرأة مكفوفة فقيرة تُدعى ميس أرنُلد (Miss Arnold) بمساعدة صديقة لها فاستأجرتا حجرة صغيرة وجمعتا فيها بعض الكتب فكانتا تقرضانها للعميان بثمن نحو عشرة سنتيمات اسبوعيًا . وكان رأس المال حسنةً لا تزيد على ٢٥ ليرة انكليزية . فنمت تلك الحبة الصغيرة شيئًا فشيئًا بواسطة الحسنات اليسيرة الواردة اليها من كل انحاء بريطانية العظمى حتى صارت اليوم بعد مُضيّ ٣٨ سنة دوحة كبيرة يتظلل آلاف من العميان في ظلالها الوارفة . ففي الوقت الحاضر نراها من اهمّ خزانات الكتب في لندن باتساعها وحسن نظامها ولا سيّما بالخدم الجليلة التي تؤديها لثمانية آلاف من قرّاء العميان المنتشرين في كل انحاء اوربة واميركا والمستعمرات الانكليزية . وهي تحتوي الآن على نحو ٦٠٬٠٠٠ كتاب بأحرف نافئة تقابل نحو عشرة آلاف من الكتب الاعتيادية فضلًا عن ٨٬٠٠٠ مؤلف موسيقي . ولدينا قائمة تلك الكتب طالعناها مليًا فقضينا العجب من تنوّعها . فهي ليست محصورة بالروايات وما شاكلها بل منتمية الى كل انواع العلوم والمعارف كاللاهوت والفلسفة والتاريخ الكنسي وسير القديسين والسياسة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والحقوق والفلك والبيولوجية والرياضيات والطبيعيات والكيمياء الخ . ثم تجد منها بضع مئات مكتوبة بنحو عشر لغات اجنبية ونحو ٤٠٠ باللغة الدولية إسبرنتو . واكثر تلك الكتب اعني نحو ٨٥ في المائة منها منسوخ غير مطبوع للاسباب المشروحة سابقًا . ويقوم بعبء النسخ الثقيل نحو ٥٠٠ من النسّاخ المتطوعين الذين يبذلون قواهم في خدمة الاشقياء من بني جنسهم . ومعدّل الكتب الجديدة التي تحوزها الخزانة سنويًا نحو ١٬٥٠٠ القليل منها مطبوع والباقي منسوخ . ومعدّل نفقة نسخ كتاب واحد على يد اعمى نحو ليرة انكليزية ونصف . وكثيرًا ما تستخدم الخزانة النسّاخ العميان بتلك الاجرة لتوفير نُسخ الكتب النفيسة

والخزانة واقعة في وسط لندن وهي فخمة العمارة فسيحة الردهات المفروشة باتقان والمدفأة في الشتاء. وقد أُنشئ لها حديثاً فرعٌ في منشستر. ومعدل ما تقرضه يومياً من الكتب نحو خمسمائة اعني خمس مرات اكثر من خزانة باريس. فيكون المجموع السنوي ١٨٢،٥٠٠. واغلب الكتب تُرسل بالبريد الى طالبيها القاطنين في انكلترة والخارج. عدد قرائها نحو ٨،٠٠٠ كما اسلفنا وبينهم كثير من الذين فقدوا نظرهم في الحرب الاخيرة. وهذه الخزانة موَّنت ايضاً بمئات من كتبها في السنة ١٩١٩ ١٠٢ خزانة كتب اعتيادية و ٦٦ شركة او مؤسسة. وهي تُقرض كتبا مجاناً ولا تطلب سوى قيمة البريد بل تتكرم بدفعها للفقير المدقع وتُدفع لأشد المعوزين القاطنين بلندن نفقات الانتقال من بيوتهم الى ردهاتها لئلا يعوقهم ادنى مانع عن الاختلاف اليها والتمتع بما لهم. ونظراً الى الخدم العظيمة التي اداها الخزانة للعميان قد رخصت لها مصلحة البريد اسعارها المعتادة تسهيلاً لنقل كتب العميان الضخمة الى كل انحاء انكلترة وهكذا لا تزيد قيمة النقل البريدي على نحو عشرة سنتيمات عن ثقل يفوق الكيلوغرامين وربع. وبناء على ذلك سوّلت الخزانة لقرائها اقتراض اربعة كتب جديدة في كل شهر. ثم انها تقدم لبعض الطلبة الاضراء الكتب اللازمة لدروسهم فضلاً عن كونها تسهل لكل العميان تعلُّم الحرف النافرة بالأتهم بواسطة كتبها الباحثة عن تلك الحرف. ورغماً عن كل هذه الاعمال العظيمة المتنوعة ليس للخزانة دخلٌ ثابت بل كل دخلها ناجم عن حسنات طفيفة تتوارد اليها افواجاً فيبلغ مجموعها آلافاً من الليرات الانكليزية في السنة. وهذه الخزانة تحت حماية سمو الاميرة لويزة من العائلة المالكة

وقبل ان نختم هذا الباب عن خزانة كتب العميان بلندن يليق ان نُلحق به بعض الايضاحات على مشاريع انكليزية عائدة الى تثقيف المكفوفين وتلطيف بلواهم. فمنها المجلات الزهيدة الثمن التي يظهر منها في الوقت الحاضر اثنتا عشرة ونيف وبينها واحدة موسيقية وهي (The Braille Musical Magazine). ولاثنتين منها اسمان ظريفان وهما الساعة السعيدة (Hora jucunda) وجالبة الضياء (Light bringer). ولا اظنني مغالياً ان صرحت بانَّ لانكلترة قصبة السبق على كل البلاد في عدد تلك المجلات وانتشارها وان كانت معروفة ومألوفة في كثير من

والخزانة واقعة في وسط لندن وهي فخيمة العمارة فسيحة الردهات المفروشة باتقان والمدفأة في الشتاء. وقد أُنشيء لها حديثاً فرعٌ في منشستر. مُعدَّل ما تُقرضه يومياً من الكتب نحو خمسمائة اعني خمس مرات اكثر من خزانة باريس فيكون المجموع السنوي ١٨٢،٥٠٠. واغلب الكتب تُرسل بالبريد الى طالبيها القاطنين في انكلترة والخارج. عدد قرائها نحو ٨،٠٠٠ كما اسلفنا وبينهم كثير من الذين فقدوا نظرهم في الحرب الاخيرة. وهذه الخزانة موَّنت ايضاً بثلاث من كتبها في السنة ١٩١٩ ١٠٢ خزانة كتب اعتيادية و ٦٤ شركة او مؤسسة. وهي تُقرض كتبها مجاناً ولا تطلب سوى قيمة البريد بل تتكرَّم بدفعها للفقير المدقع وتُدفَع لأشدّ المعوزين القاطنين بلندن نفقات الانتقال من بيوتهم الى ردهاتها لئلا يعوقهم ادنى مانع عن الاختلاف اليها والتمتُّع بما لذَّ لهم. ونظراً الى الخدم العظيمة التي ادتها الخزانة للعميان قد رخصت لها مصلحة البريد اسعارها المعتادة تسهيلاً لنقل كتب العميان الضخمة الى كل انحاء انكلترة وهكذا لا تزيد قيمة النقل البريدي على نحو عشرة سنتيات عن ثقل يفوق الكيلوغرامين وربع. وبناء على ذلك سوَّغت الخزانة لقرائها اقتراض اربعة كتب جديدة في كل شهر. ثم انها تقدّم لبعض الطلبة الاضراء الكتب اللازمة لدروسهم فضلاً عن كونها تسهّل لكل العميان تعلُّم الحِرَف المناسبة لحالتهم بواسطة كتبها الباحثة عن تلك الحرف. ورغماً عن كل هذه الاعمال العظيمة المتنوعة ليس للخزانة دخلٌ ثابت بل كل دخلها ناجم عن حسنات طفيفة تتوارد اليها افواجاً فيبلغ مجموعها آلافاً من الليرات الانكليزية في السنة. وهذه الخزانة تحت حماية سمو الاميرة لويزة من العائلة المالكة

وقبل ان نختم هذا الباب عن خزانة كتب العميان بلندن يليق ان نُلحق به بعض الايضاحات على مشاريع انكليزية عائدة الى تثقيف المكفوفين وتلطيف بلواهم. فمنها المجلّات الزهيدة الثمن التي يظهر منها في الوقت الحاضر اثنتا عشرة ونيف وبينها واحدة موسيقية وهي (The Braille Musical Magazine). ولاثنتين منها اسمان ظريفان وهما الساعة السعيدة (Hora jucunda) وجالبة الضياء (Light bringer). ولا اظنني مغالياً ان صرَّحت بأنَّ لانكلترة قصبة السبق على كل البلاد في عدد تلك المجلات وانتشارها وان كانت معروفة ومألوفة في كثير من

انكليزياً و ٥١ فرنسوياً و ٣٤ من الولايات المتحدة و ٤ اوستراليين وواحد مصري وآخر صيني الخ . وكلّ اولئك العميان لسان واحد في التنويه بفضل تلك المجلة التي توقفهم كل شهر على جملة اشياء مفيدة وممتعة . ومن خير حسناتها نحوهم انها تمكّنهم من التعرف بعضهم ببعض والتراسل بالاسبرنتية رغماً عن اختلاف الجنسيات وابتعاد الاقطار . ولديّ احدُ اعدادها وهو الصادر في ٢٥ كانون الاوّل سنة ١٩١٣ يحتوي على ٣٦ صحيفة قطعها تقريباً ضعف قطع المشرق (١

وكانت قيمة الاشتراك قبل الحرب ٣ فرنكات لا غير والآن ٣ شيلينات اعني نحو ٤ فرنكات والمجلة تصدر الآن في استوكهلم عاصمة اسوج . ورئيس تحريرها المسيو هارلد تيأندر وهو اعمى اخرس اصم بل كسيح . فما اعظم همّة حيث انهُ يكونُ هذه المجلة الجليلة الفوائد رغماً عن عاهاته الاربع التي تكفي واحدة منهن لاخماد همة كثير من الناس!

كل ما سبق يرضُ من بعدُ فيما يختص بالكتب والنشرات للعميان ولكن كفى بهِ شاهداً على الترقي العجيب الذي كان فالنتان هاوي في غرة الجيل المنصرم اوّل حامل لرايته . ثم خلفهُ الاعمى النحرير لويس براي فخدم رصفاءهُ التعساء في كل الاقطار والى منتهى الازمان خدمة لا تُقدَّر باختراع اوّل طريقة قراءة وكتابة اتت بنتائج مُرضية . ثم تحسنت اساليب الطبع وزادت رخصاً وسرعة وانتشاراً . ثم اتى النسخ حليفاً للطبع فدخلت بهِ في حيز الوجود خزانات الكتب الحاوية آلافاً مؤلفة من الكتب العلمية والادبية التي لم يدُر على خلد احد المفكرين من نحو ٥٠ سنة امكان انشائها للعميان نظراً الى شدة غلاء الطبع بحروف ناتئة . واخيراً توصل اصحاب العزائم الصادقة بواسطة الاسبرنتو اللغة الدولية الى انشاء اوّل مجلة لعميان كل البلاد كان يقرأها سنة الحرب نحو الف منهم في ٢٧ قطراً بكل قارات العالم

---

(١) وهذا فهرسها أوردهُ تفكهة للقراء : ١ً لعب الشطرنج . ٢ً رسالة من مدير المجلة . ٣ً الاحتفال من السنة ١٩١٣ الى ١٩١٤ . ٤ً الزرزور . ٥ً باب المراسلات . ٦ً الفوائد النثرية . ٧ً الاخبار الاسبرنتية . ٨ً مشكلات رياضية وغيرها . وقد عاينا في احد اعدادها الاخيرة رسم احد كبار المحسنين للعميان يلمسهُ هؤلاء بسبابتهم وينقلونها على كل اجزائهِ الناتئة فيقفون على كل تقاطيع الوجه . وقد رأينا ايضاً صورة ناتئة تمثل كنيسة عظيمة جميلة

فسبحان الذي ألهم المخترعين رأفةً على الاضراء حدت بهم الى مداواة عاهتهم وتخفيف نير بلواهم . سبحان الذي هدى لويس براي وغيره الى تلك الطرق العجيبة التي كادت تساوي بين الاعمى والباصر في القراءة والكتابة اللتين لم يدُر على خلد البشر امكانهما للاضراء . فليهنأ اولئك البؤساء بما نالوه بفضل الباري تعالى مُلهم المخترعين المحسنين من الفائدة واللذة والسلوى التي لا مراء انها ستزداد وتنتشر في رهطهم يوماً فيوماً كما عهدنا في السنين الخمسين الاخيرة

شوارع بيروت وأسماؤها الجديدة

لنقر الندادي للاب لويس شيخو اليسوعي

لا تخلو مدينة متمدّنة في اوربّة من بلديّة تهتمّ بتنظيم شوارعها وضبطها باسماء ملائمة يُهتدى بها الى انحائها المختلفة يعرفها الخاصّ والعامّ ولاسيّما الحوذيين ومأموري البريد والشرطيّين فمنها الساحات ومنها الجوادّ ومنها الشوارع والأزقّة والحوخات . وبهذه الاسماء وبارزة يمكن الجميع ان يطّلعوا عليها في منافذ تلك المسالك . ثمّ يقسّمون الشوارع الى عدد معلوم من المساكن او المعاهد يعلو كلّا منها رقمٌ فلا يحصل في التفتيش عنها ادنى التباس

هذا في بلاد الغرب والشعوب الراقية ومن حذا حذوهم في اقطار العالم المتمدّنة . امّا تركيّة فانّها في معظم مدنها كانت تجري في ذلك مجراها من التهامل وعدم الاكتراث تدع للعامّة يطلقون الاسماء على أحيائهم وشوارعهم كما شاؤوا فربّما اصابوا وربّما اخطأُوا . واكثرهم لا يعرفون سوى الاحياء القريبة منهم فاذا طلبوا احداً في حيٍّ بعيد قاسوا قبل وجود مسكنه ضروب الملل والضجر . فكم فُقدت من جرّاء ذلك رسالات وكم ضاعت اموال وكم . . وكم . . . .

فلمّا بطل في ظهرانينا الحكم التركي وزال عنّا نيرهُ الثقيل فاحتلّت بيروت حكومة عاقلة حكيمة حتّى شعرت بهذا الخلل واوعزت الى لجنة خاصّة باستدراكه .

فلبّت دعوتها وتحفّزت الى هذا العمل الجليل . فما مرّ الزمن القليل حتى رأينا في مدخل الشوارع على طرفيها الواحاً مستطيلة تروق للعين بكتابتها المشرقة الجميلة في اللغتين الفرنسويّة والعربيّة فأقبل الجميع الى الاطّلاع عليها وأثنوا على همّة اللجنة المكلّفة لتعبها وتقريب منالها . وما لبث احد الادباء ان رسم لبيروت خريطة كبيرة وصوّر كلّ طرقها وساحاتها ورقم على تقاطيع شوارعها الاسماء الآنف ذكرها ليطّلع عليها كل من شاء ويتجوّل في المدينة دون عناء ومشقّة

وقد وطّب هذا العمل لساننا بالشكر لكلّ من قام بهذا الامر الذي كانت اليه بيروت في حاجة ماسّة سواء كان لاهلها وافرادها لاغراضهم الخاصّة ام لأمورها للنظارة العموميّة وللسهر على راحة السكّان في كلّ اطراف البلد

على انهُ بعد النظر المليّ في هذه الاسماء واختيارها وتوزيعها على انحاء بيروت قد خطر على بالنا بعض الملحوظات رأينا ان نعرضها ببكل بساطة على اللجنة التي تولّت هذا العمل المفيد

وقبل كلّ يجب علينا الاقرار بان مشروعاً كهذا ليس هو بالامر اليسير لاسيَّما في مدينة كبيروت تتوفّر فيها العناصر والاديان والطوائف المختلفة وطرأت عليها بتوالي الاجيال الطوارئ العديدة وتوالت على ملكها الدول الشتّى فكيف الموافقة بين كلّ هذه الشؤون المتناقضة

والحقّ يقال انّ الذين عهد اليهم هذا الامر الشاقّ سعوا طاقة جهدهم في اكتساب رضا الجميع فترى بين اسماء الشوارع ما يذكّر كل عنصر ودين باوليائه ومفاخره فكما انّ بعض الشوارع ازدانت باسماء الخلفاء الراشدين ومشاهير الاولياء كأبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان والسيد حسين وعمر بن عبد العزيز وعبّاس وابي عبيدة والسيدة خديجة والسيدة فاطمة وامّ محمّد فكذلك أُطلقت على شوارع أُخرى اسم السيّدة مريم العذراء واسماء القديسين كمار الياس ومار مارون ومار نقولا ومار انطون ومار جرجس (الذي ورد اسمهُ ايضاً على صورة الخضر) ومار بولس ومار منصور

ومثلهم بعض كبار الرجال من الفريقين فكما دعوا شارع هارون الرشيد وشارع فخر الدين المعني (الذي وضع اسمهُ بكل صواب بدلاً من الامير فيصل وكلّ يعرف ما

لفخر الدين من الفضل على بيروت وسواحل الشام) فخصُّوا ايضاً بالذكر مار لويس (ملك فرنسة) والشيخ ناصيف اليازجي. ومن سعيهم بارضاء الفريقين انهم جعلوا اسماء دولتي الافرنسيين والانكليز بازاء دول الامويين والعباسيين والفاطميين.

ومما يلوح من درس اسماء الشوارع الجديدة انَّ محرّريها ارادوا تخليد ذكر الذين قُتلوا ظلماً في اثناء الحرب بأمر الاتراك لانتظامهم في سلك الجمعيات العربيَّة الطالبة اللامركزيَّة او لاشتراكهم في المؤتمر العربي في باريس لتحرير الأمّة ونكث الربقة التركيَّة. فاستحقُّوا بفاداتهم ان يُعلن الباقون بعدهم والمتنعّمون بثمرة فدائهم اسماءهم فيذكرها الخلف بعد السلف. فكم يسرُّنا أن نقرأ اسماء الشيخ فريد الخازن ويوسف بشاره الهاني وسعيد عقل ورفيق رزق سلوم وبترو بولي من النصارى. وامين لطفي بك وشفيق المؤيد وشكري بك العسلي وسيف الدين الخطيب وعمر حمد والامير عمر وعبد الكريم الخليل وعبد القادر الخرسا. وصالح بك حيدر ومحمّد المحمصاني والشيخ احمد حسن طباره وجلال البخاري وعبد الوهاب الانكليزي وعلي افندي الارمنازي ورشدي شمعه وناصيف افندي تلّو ونوري القاضي من المسلمين. لولا انَّ كثرة هذه الاسماء وقلّة شهرة كثير منها ستقوم عقبةً في سبيل الناشئة الجديدة. فكان يكفي ذكر البعض منهم ولاسيَّما انهُ خُصَّ احد الشوارع باسم شارع الشهداء. وقد الحقوا بهم اسم الطيِّب الذكر المطران بطرس شبلي ونعمَّ ما فعلوا!

ويستفاد ايضاً من امعان النظر في اسماء الشوارع انَّ اصحابها عُنوا بمجاملة الدول المحالفة التي بفضلها تحرَّرت سوريَّة فوسموا كثيراً من الأحياء باسماء اعلام افرنسيَّة. منها جغرافيَّة كجادَّة باريس وشوارع لندن ومرسيلية وبوردو وفردون وليون واوتوا والزاس لورين واسبانية وبلجيكة. ومنها شخصيَّة فذكروا بها شكرهم نحو الجنرال غورو المعتمد السامي على سوريَّة وجورج بيكو والكولونل نيجر والجنرال اللنبي بل رفعوا شكرهم الى بعض اركان الحرب والمؤهلين لنصر الحلفاء كالمرشال فوش وكليمنسو وذكروا شاعرهم العصري فكتور هوغو

على انَّ اهتمام اللجنة بابداء شكرها للحلفاء لم يُنسِها ذكر الاوطان الشرقيَّة سواء كان بتخصيص اسماء عديدة لأعلامها الجغرافيَّة ام لافاضل كتبة العرب فيشرح الصدر بنظر اسماء البلاد الشرقيَّة من قريبة كشارع فينيقية والبحر المتوسط وسوريَّة

ودمشق ولبنان والمتن والبقاع وصنين وفلسطين ومصر واورشليم والناصرة ومنها بعيدة كالعراق ومراكش والجزائر وتركستان. كما يُسَرّ باسماء ائمة الكتبة كالاصمعي والحريري وابن الاثير وابن خلدون وابن جُبَير وابن بطوطة وابن الطقطقى وابن عبد ربه والثعالبي والاتليدي والقزويني والسيوطي والشريشي وعبد اللطيف الدمشقي والمقدسي والمتنبي وبهاء الدين العاملي ومحيي الدين العربي اسلوها من بعض كتب الادب دون إجهاد الفكر في انتقائها وكان يمكن الاستعاضة عن بعضها بما هو أعرف منها واقرب الينا ممن نفعوا البلاد اكثر من الاتليدي والشريشي وابن الطقطقى. فمن النصارى البطريرك الدويهي والمطران جرمانوس فرحات ونقولا الصائغ الحلبيان والمطران يوسف الدبس وبطرس البستاني وفان ديك والشيخان رشيد الدحداح وابرهيم اليازجي ومن المسلمين الشيخ ابرهيم الاحدب ويوسف الاسير والجبير

وقد احسنت اللجنة اذ ابقت بعض الاسماء الشائعة سابقاً لبعض انحاء البلد على ألسنة العموم كساحة الاتحاد وشوارع البسطة والمنارة والسراية وباب ادريس والباشورة والجمَّيزة والحرش وشوارع اسواق الجميل وابي نصر وخيَّاط وسرسق والجوهرية والنجَّارين والصبَّاغين. او عيَّنت لها اسماء ملائمة لموقعها من البلد وانطباقها على احوال تلك الاحياء كشوارع المحبَّة بو الحكمة والبرك والمينا والرصيف والبوسطة والمال. ولعلَّها كانت اصابت لو لم تبدل بعض الاسماء الكثيرة الشيوع ولا يزال الناس حتى الان يدلُّون اليها دون المبالاة بالاسماء الجديدة كحي اليسوعيَّة وحيّ الدحداح ووادي الحراميَّة وحي مار مارون وحيّ المدرسة البطريركيَّة والوميلة والصيفي

ومن الاسماء التي نظنُّها ستثبت راسخةً في صدر العموم ما يذكرهم بانقلاب الاحوال السياسيَّة كشارع الجيش وشارع الانتصار وشارع الحريَّة وشارع المتقذين وشارع الاستقلال وشارع الجمهوريَّة وشارع شكري غانم الوطنيّ الشهير واخيه خليل فانَّ ذكرها يحلو على السنة القوم

ومع هذا لا تخلو بعض الشوارع من اسماء غريبة او قلَّما يرى الناس انطباقها على الواقع فمن ذلك شارع الف ليلة وليلة وشارع الافتكار وشارع الاجتهاد وشارع الادب. وقد خُصَّت اطراف كليَّتنا ببعض هذه الاسماء الجميلة فرأى المنتقدون انها تدلُّ

(وخصوصاً بالافرنسيّة) على شيءٍ من التوقّع والعظمة

وكثير من هذه الاسماء مع حسن اختيارها لا نراها مناسبةً للامكنة التي خُصّت بها كشارع مار مارون مثلاً في رأس بيروت ومكانهُ الطبيعيّ قرب الكنيسة المشيّدة على اسمهِ ومثلهُ شارع مار جرجس في غير مقامهِ وشارع منسنيور شبلي كان حقّهُ ان يُجعل امّا قريباً من مسكنهِ في مدرسة الحكمة وامّا بجوار كاتدرائيتهِ مار جرجس

ومن هذه الاسماء ما هو ملتبس لا يدلّ على مكان معلوم مثالهُ شارع الجامع فانّ الجوامع كثيرة فلا يُعلم ايّ منها يُراد . فان قيل الحوذيّ : قُدني الى شارع الجامع . قال للحال : ايّ جامع . ومثلهُ شارع المستشفى مع تعدُّد المستشفيات وقد أُريد بهِ المستشفى العسكريّ والالتباس ظاهر . وكذلك شارع الشغيلة (كذا) قرب شارع الفال فانّ الشغل هناك ليس اكثر من امكنة غيره . وكشارع التجارة رأيناهُ اقلّ حركةً تجاريّة من عدة شوارع أُخرى . وكشارع الكليّة يقصدون بهِ كليّة مار يوسف

بل رُبّما خالفت الاسماء صفة الشوارع التي وُضعت لها فان شمالي مستشفى الروم شارعَ الصناعة ولا اثر هناك لايّ صناعة كانت . ولا نرى كيف يوافق اسم « شارع التمر » لمكانهِ وليس هناك ما يذكّر بالتمر البتّة . وقد قصدنا شارعي التوت والليمون لعلّنا نرى هذه الاشجار بوفرة فما اشدّ ما كانت خيبة رجائنا والتوت والليمون في سواهما اوفر واظهر

وكم من الاسماء التي لم يمكن احدًا ان يدلّنا على سبب التسمية بها فكأنّها وُضعت جزافًا دون داعٍ خاصّ

وقد أُطلقت اسماء فخيمة على شوارع سقيمة كشارع فينيقية وشارع سوريّة وشارع الاستقلال

وقد تغيّرت بعض الاسماء القديمة دون سبب كافٍ الى إبدالها كشارع النهر الذي كان يُقصد بهِ نهر بيروت أُقيم بدلاً منهُ شارع باسم نهر ابراهيم كأنّهم يشيرونا بنقل حركة مياههِ الى مسكة بيروت وتدوير معاملها وانارة احيائها فيا حبّذا البُشرى !

وقد لحظنا بين هذه الاسماء ما لا يليق التسمية بهِ كشارع ليمونة العشاق فانهُ في العربيّة وفي الافرنسيّة (Rue des Amours) مخلٌّ بالادب العموميّ ومثلهُ شارع

مادلون اشارة الى اللغة الفرنسيّة خسيسة وكفى بشارع الرسيلياز

وممّا يؤسف له ان تعرّض بعض الاسماء مغلوطة كشارع السيّدة مريم العزراء (كذا بالزاي) وسوق الجبل دون تعريف النعوت

وكان بودّنا ان نرى بين اسماء شوارع بيروت ما يستدعيه مقامها الجغرافي وتاريخها القديم . فكان الاولى ان تذكر مدن سواحل الشام وداخليّة سوريّة كحلب وصيداء وطرابلس وبعلبك وهي اقرب الينا من مصر ومراكش والجزائر وتركستان وكذلك كان ادباء سوريّة احقّ بالذكر من بعض الغرباء كعبد الغني النابلسي وابي العلاء المعرّي وابن شدّاد الحلبي وياقوت الحموي . وبين كبار الرجال كان يحق لمعاوية التقدّم على سواه لخدمه العظيمة لبلاد الشام فانّه احقّ بالذكر من هارون الرشيد . ومثل ذلك يقال من القديسين السوريين يوحنّا الدمشقي ويوحنّا فم الذهب الانطاكي وكيرلس الاورشليمي الذين شرّفوا بلاد سوريا باعمالهم وكتاباتهم كما شرّف بيروت اغريبا صهر الوسطى قيصر الذي اغناها بالمباني الفخيمة وجعلها من حواضر العالم الروماني . ومثله فعل اغريبا الاول حفيد هيرودس الكبير واغريبا الثاني (راجع كتاب لبنان ص ٢٣٦) . وممّا كان يجب إحياء ذكره باسم بعض شوارع بيروت مدرستها الفقهيّة التي اصابت مدّة ثلثمائة سنة قصبة السباق على غيرها فبهذا الاسم يوافق شارع مدرسة الحقوق الفرنسويّة اللاحقة بكليّتنا بدلاً من شارع الافتكار الغريب . ويا ليتهم دوّنوا اسماء التنوخيين امراء بيروت والشهابيين ولاسيّما الامير بشير الكبير لما لهم من الفضل على بيروت

وممّا لا يسعنا السكوت عنه ترجمة اسماء الشوارع الفرنسويّة فبعضها لا ينطبق مع الاسم العربي كشارع الكليّة المسمّى بالافرنسيّة (Rue de la Faculté) بدلاً من (Université) وشارع الاجتهاد (Rue du Progrès) والصواب (Application, Assiduité, Diligence) وشارع الحرش (Rue des Pins) بدلاً من (Rue de la Forêt) او يقال شارع الصنوبر

وفي كتابة الاسماء الفرنسويّة ما يخالف اللفظ العربي فكتبوا مثلاً (el Bikhari) والصواب (al Boukhari) وكتبوا (Rabihi) عوضاً من (Rabbihi) وكتبوا (Essayouti) بدلاً من (Assouyouti) وكتبوا (Chrichi) يريدون (Charichi) .

وترى الحرف العربيّ مكتوباً على شكلين او ثلاثة بالفرنساوي فالقاف مكتوبة بالحرفين CK في (Bickaa) وبالحرف K في (Kader, Irak) وبالحرفين q و g في (Taqtaga) والصواب (Tiqtaqa) فيا لله من هذه الفوضى. ومثلها الخاء العربيّة فهيKفي Cheik وهي (Kh) في (Khalil). والثاء هي Th في (Ibn al Athir) وهي S في (Saaiibi) يريدون الثعالبي. والطاء تارة T في (Tabbara) وهي Th في (Fathimites) وهلمّ جرًّا. وقد زاد على هذه الاغلاط الفرنسويّة صاحب رسم بيروت (Nouveau Plan de Beyrouth) فكتب الخ Essayouli, Qazzouni, Catholiqe (sic !)

فترى كم كان يجب التروّي في رسم هذه الاسماء للشوارع. ورجاؤنا ان يُصلَح منها ما يمكن اصلاحهُ لئلّا تستهدف مدينة بيروت لسهام الانتقاد في كتب الاجانب بعد ما شاع عنها أنّها مدينة المدارس والعلوم

مطبوعات شرقية جديدة

John Maynard Keynes: Les Conséquences économiques de la Paix. *Traduit de l'anglais par* Paul Franck, 9e *éd., pp.*237, *in*-16, *Paris. Nouvelle Revue Française*, 1920

عواقب السلام الاقتصاديّة

قد شاع هذا الكتاب ايّ شيوع منذ ظهوره ولا عجب فانّ مؤلّفهُ كان من اعضاء محاضرة السلام والشورى الاقتصاديّة العليا وزاد التفات الجمهور اليه منذ قدّم استعفاءهُ من هذه الرتب لاسباب بسطها في كتابهِ فانشر علانيةً وبلاغةً عدّة امور كان الناس يجهلونها فوصف وصفاً مؤثراً ما صارت اليه حالة اوربّة من الضنك والبؤس بسبب تقريرات زعماء المندوبين الاتفاقيين بحقّ الدول المركزيّة. ومن ثمّ لا يستصوب عمل اصحاب تلك الجماعات الدوليّة المنشئة لتقرير السلام لانهُ يزعم أنّها تضحّي صالح اوربّة العمومي لمنافع بعض الدول ويؤيد ذلك بجداول مختلفة قابل فيها بين الواردات والصادرات والارباح والخسائر الى غير ذلك ممّا يدلّ على سوء

الحالة العموميّة منذ عُقِدت تلك الاجتماعات وتقرّرت تلك الاقتراحات. وقد كُتب الكتاب اولاً بالانكليزيّة لفائدة الاميركيين والانكليز فنقله الى الفرنسويّة المسيو بول فرنك فبلغ بزمن قليل طبعته التاسعة. على انّهُ لم يسلم له الكلّ بآرائه وقد جبّذ المسيو جاك بردو(Jacques Bardoux) معلوماته التاريخيّة ولكنّهُ استخفّ بزاعمه الاقتصاديّة في مجلة «فرنسة – اميركا». وما لا ينكرهُ احد انّ اوربّة حاضراً أُصيبت بازمة لم تعهد لها شبيهاً فلا بُدّ من ان يُعار هذا الكتاب بالاً لئلّا تزيد الاحوال سوءاً بل تعود الامور قريباً الى سلامها والمعاملات الدولية الى حالتها الاقتصاديّة المألوفة ج . ل

Raphael Georges Lévy : La juste Paix ou la Vérité sur le Traité de Versailles. *Paris s. d., pp. X-243, in-16. Prix 7 fr.*

السلام العادل او الحقيقة عن معاهدة فرسايل

هذا الكتاب تتمّة للتأليف السابق فيردّ صاحبهُ على مزاعم المستر كينس الذي رأى في معاهدة فرسايل سلاماً مخلًّا واجحافاً باوربّة وقد ردّ عليه خصوصاً في شأن الامور الاقتصاديّة التي حاول الدفاع عنها مراعاةً لالمانية. ففي فصله الاوّل يدحض ادلّة المستر كينس مثبتاً بطلانها. ثمّ يتبعهُ بفصل ثانٍ ويظهر ما في وسع الالمان من الوسائط المتعدّدة لدفع الغرامة الحربيّة المقرّرة عليهم. وقد خصّص فصلهُ الثالث بإيضاح ما اصاب فرنسة من الخسائر الفادحة في هذه الحرب الطاحنة ولم ينسَ حلفاء فرنسة لا سيّما بلجكة وروءانية وايطالية. وفي الفصل الرابع وهو الاخير يبيّن كيف عادت المانية بعد الحرب بزمن قليل الى عمرانها وغناها وقابل بين شروط الحلفاء المفروضة عليها مع الشروط الباهظة التي كانت تنوي ان تسحق بها فرنسة لو خرجت من الحرب ظافرة. فيستنتج من كل ذلك انّ معاهدة فرسايل ليست منافية لاحكام العدل. امّا نحن مع كوننا مستحسنين كلام المؤلف وايضاحاته نراهُ مفرطاً في دفاعه عن معاهدة فرسايل كأنّها في تمام الكمال وذلك ممّا لا يوافقهُ عليه الجميع والله اعلم

ج . ل .

Cl. Huart : Le Livre de la Création et de l'Histoire de Motahhar ben Tâhir el-Maqdisi. *T. V et VI, Paris*, 1918 et 1919

الجزءان الخامس والسادس من كتاب البدء والتاريخ للمقدسي

وصفنا سابقاً الاجزاء الاربعة التي نُشرت قبل الحرب من هذا التأليف الجليل. والجزءان الحاضران تتمَّة الكتاب وهما يتناولان اخبار الاسلام منذ ظهوره الى ايام المؤلف اعني الى آخر خلافة المطيع لله العباسي سنة ٣٣٦ هـ. وهي مع قصرها تامّة في الفائدة لما تتضمّنهُ من معلومات المؤلف الشخصيّة او المنقولة عن المصادر التاريخيّة الاصليّة. وقد عُني السيو هوارت بضبطه وتصحيحه ونقله الى الفرنسويّة وختمهُ بفهرس عمومي للستّة الاجزاء. فزاد بها نفعهُ. على انّ عملاً كهذا لا يخلو من عدّة مشاكل يصعب حلّها على المستشرقين نفسهم وقد ازال كثيراً منها جناب الاستاذ هوارت. امكننا حفظنا بعض الخلل في ترجمة عددٍ من الابيات الشعريّة وضبطها على قوانين الوزن وفي الدلالة على بحورها لا سيَّما البحور النادرة. فتستلزم اعادة النظر فيها وربَّما وُجدت لبعضها روايات اصحّ. وعلى كلّ فانّ نشر هذه الكتب العزيزة يشرّف مكتب اللغات الشرقيّة الحيّة المتولّي هذا العمل فنوجّه اليه شكرنا

ل. ش

Qu'est-ce que l'Esprit français ? Vingt définitions choisies et annotées par **C. Bouglé et P. Gastinel**. *Paris. Garniers Frères*, in-16, 68 *pp.*, 1920

تعريف طبيعة الفرنسويين واخلاقهم

قد اجاد الكاتبان الفرنسويان بوغله وغستينل بجمعها في هذا الكتاب عشرين وصفاً لمشاهير الكتبة في طبع الفرنسويين ومزاياهم التي تفرزهم عن سواهم من الشعوب يريدون بذلك افادة الاجانب خاصةً. وهذه الاوصاف مقتطفة من تآليف كتبة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مباشرةً بمنتسكيو. قد وجدنا في هذا المجموع نقصاً باقتصار جامعيهِ على تاريخ فرنسة الحديث فيستنتج القرّاء انّ فرنسة ابتدأت فقط منذ الثورة الفرنسويّة في السنة ١٧٨٩ وانّ محاسن الاخلاق الفرنسويّة لم تسبق هذا العهد. ثم لم نستحسن بعض تلك المنتخبات كالذي درواه عن فكتور

كُلْـيدران مثلًا فانَّ هذا الكـاتب اجنبيٌّ اكثر منهُ فرنسويٌّ وليس هو جديرًا بوصف اهل بلادٍ لم يحكم معرفتها . فكان الاولى ان يكون اختيارها لرجالٍ منصفين ذوي حكمة وذوق. فانَّ للفرنسة‌هينةً غريزيَّة اتُّفقت على شأنها الاجيال المتعدّدة فلا يسوغ تشويه تلك الصورة ج . ل

Donies (J): Les Poissons de Mer : Les Variétés comestibles. leur préparation culinaire; la pêche du Poisson de mer; les conserves de poissons. *Paris, Hachette in-16, pp. 257 et 30 Planches hors-texte en Couleurs*

سمك البحر اجناسهُ وصيده وتجهيزه

انَّ غنى سوريَّة لا يتوقَّف فقط على املاكها البرّيَّة فانَّ لها بمجاورة البحر ثروة واسعة لما يحويهِ البحر المتوسّط من الكنوز المختلفة منها سمكهُ الذي يكسب اهل السواحل ارباحاً عظيمة الاانَّ هذه الحرفـة لا يتعاطاها الّا بعض الافراد الذين يرتزقون منها ولو تشكَّلت لذلك شركات ذات رأس مالٍ كافٍ لأمكنها ان تغتني بها . والكتاب الذي نحن بصدده من انفع الكتب لهـذه الغاية فانهُ يعرّف انواع السمك التي يمكن صيدهـا في بحرنا ثمَّ يبيّن خواصها وفوائدها للمعاش وكيفيَّة اصلاحها بالطبخ وطرائق صيدها وحفظها في العلب للمتاجرة بها . فهذا وفوائد اخرى كثيرة يمكن الحصول عليها بمطالعة هذا الكتاب وهي تفتح باباً واسعاً للمعاش والربح في وقت الغلاء الذي يكربنا ج . ل

Prof. B. Cattan : L'Hellénisme dans la Première Constitution de l'Église Gréco-Melkite. *Rome,* 1920 *PP.* 31

اليونانيَّة في اوائل الكنيسة الروم الملكيَّة

ألقى حضرة الخوري باسيل قطّان هذه المحاضرة في رومية في ٢٧ حزيران الماضي بحضور نخبة من الاكليروس الشرقيّ والغربيّ تحت رئاسة غبطة السيّد البطريرك ديمتريوس القاضي مع جملة من ذوات رومية وعلمائها وكان مدارها على نفوذ اليونانيَّة في اوَّل تكوين كنيسة الروم. فقد اطلعنا عليها برغبة ووجدنا حضرة كاتبها مجيداً في

وضعه لانتشار الآداب والفنون اليونانيّة في سوريّة. ولا ينكر انّ لغة اليونان كانت شائعةً بين العلماء وعلية القوم وفي دوائر الحكومة والمواصلات التجارية كاللغة الفرنساويّة في ايّامنا. امّا العامّة فانّنا لا نكفّ عن رأينا بانّ لغتهم كانت السريانيّة حتّى في اكبر مدن سوريّة وحاضرتها انطاكية. ولمّا دخل العرب تغلّبت لغتهم على السريانيّة لما كان بين اللغتين من القرابة. ولا نظنّ انّ العربيّة كانت قويت على تغيير لغة السوريين لو كانوا يتكلّمون باليونانيّة

وقد ذكر المؤلف (ص١٦) مهاجرةً لليونان الى سوريّة ولا اثر لذلك في التاريخ كما لم يهاجر اليها الرومان وانّما كان بعض المأمورين وبعض فرق الجند من اليونان. وكان معظم جند الاسكندر «براية» من اهل البلقان. والاسكندر نفسهُ كان من مقدونية وكان هو وقوّادهُ يتكلمون لغة المقدونيّين التي كانت تخالف اليونانيّة. ثم انّهُ ذكر (ص٣٤) القديس يوحنّا الدمشقي وانّما يدلّ اسمهُ «ابن سرجون» على اصله الوطنيّ. وكان يعرف اللغة العربيّة كما تدلّ اليه مباحثتهُ مع العرب. نعم انّهُ الف كتبهُ باليونانيّة لأنّها كانت لغة العلماء كما ان القديس برنردوس كتب باللاتينيّة وهو يتكلّم بلغة عامّة وطنهِ. ثمّ ان كتب العرب عند ذكرهم الملكيين يصرّحون بانهم كانوا يقرأون الانجيل «بالجرمقانيّة» يريدون السريانيّة. وفي آثارهم الدينيّة ما يشعر بذلك كاسم «مرتمريم» اي السيّدة مريم. ومن ثمَّ اني اكرّر ما اثبتهُ سابقاً في المشرق انّ الملكيين وطنيّون من اصل سرياني وكانت لغتهم وطقسهم سريانيَّين ولا سيّما في داخليّة البلاد ربما يأتينا احد بأدلة تنقض رأينا السابق ل. ه

رواية البطل الصنديد او القديس سفستيانوس الشهيد

بقلم الاب بولس سبّور البولسي

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٣٠ (ص ١٨٣)

يُعَدّ القديس سفستيانوس بين ابطال النصرانيّة وكماتها المبرّزين فانّهُ بعد ان اشتهر في الجنديّة العاليّة فحصل بشهامته على رتبها العالية تجنّد لربّهِ وجاهد في سبيل الايمان جهاداً افضل والشرف بلّغهُ اوج الفخر وذروة المجد الحقيقي في عهد ديوكلسيانوس الملك. فسيرة هذا البطل الصنديد قد سبكها حضرة الاب بولس سبّور

على صورة رواية تجمع بين اللـذّة والفائدة التاريخيّة فنحرّض كل الشبّان ولا سيّما احداث المدارس على مطالعتها فلا شكّ انهم يُسرُّون بمضامينها وحُسن سبكها وانسجام عباراتها

ل. ش

بنانه على المرسح

رواية ذات خمسة فصول تأليف الخوري بشاره منصور عيد واديب افندي لحود. طبعت في نيويرك سنة ١٩١٩ (ص ٧٢)

انـتـذت الحوادث التي جرت في وقت الحرب العمومية تشحذ اذهـان الشعراء والكتبة والروائيين. فمنا يستحبّ تمثيله على المراسح بعض اعمال الاتراك في سوريّة في تلك الاثناء. وهاءنذا برواية تمثيليّة لم يتّبع فيها صاحباها الفاضلان القوانين المرعيّة في هذا الفنّ من وحدة عمل ووحدة زمان وانّما جعلاها كصور السينماتغراف ياتنقل فيها الناظر من سيئة الى اخرى اتاها الاتراك في هـذه السنين المشئومة فاذا انتهى الى آخرها شكر الله ألف شكر عن نجاة العالم من اولئك الطغاة واثنى على مصنّفي الرواية

تآليف الشيخ محمّد جمال الدين القاسمي

اوقفنا على مآثر الشيخ جمال الدين القاسمي نجله الفاضل فاتحفنا بثمانية منها فاذا هي فريدة في بابها تدلّ على ما كان عليه الشيخ من العلم الواسع بامور دينه الاسلامي وبآداب ملّته وهي متقنة الطبع نُشر معظمها في دمشق بين السنتين الهجريّتين ١٣٢٧ و ١٣٣١ (١٩١٠–١٩١٤) : نخصّ منها بالذكر كتابهُ نقد النصائح الكافية فدافع بكل انصاف عن معاوية الخليفة الاموي ورهطهِ وبيّن فضلهُ بالادلّة العقليّة والنقليّة كما سبق اليهِ حضرة الاب هنري لامنس في كتابهِ الافرنسي «معاوية» . ومنها كتابهُ شرف الاسباط اثبت فيهِ انّ الشرف الصميم في الاسلام هو الراقي الى صاحب الشريعة بالتواتر ابًا عن جدّ من ابنتهِ السيّدة فاطمة الزهراء . ومنها كتابهُ الفتوى في الاسلام دوّن فيهِ خلاصة تاريخ هذا العلم وآدابهُ منذ اوائل الاسلام وذلك بكل دقّة وبيان . ومنها شرحهُ لكتاب منطقي وضعهُ الامام بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ يُدعى لقطة العجلان فسرهُ تفسيرًا واسعًا وكشف فيهِ عن مقاصد كاتبهِ وقرّب معانيه لدارسي المنطق . ومنها ايضًا كتابهُ مـذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام

في الجنّ جمع فيه اراء الفقهاء والشعراء والادباء في تعريف الجنّ وما يُنسب اليهم من الاعمال وهو ينطبق على ما رواهُ حضرة الاب بولس سلهان عن الارواح في شرقي الاردن (راجع ص ٥٦١) . وغير ذلك من كتب الفقه وكان الشيخ المرحوم احد ائمّتهِ المعدودين جازاهُ الله في دار البقاء على قدر ما كتب ونفع ل.ش

شذرات

﴿ مَن هو صاحب كتاب الكهنوت ؟ ﴾ لمّا نشر حضرة القس يوسف حبيقة كتاب الكهنوت فوصفناهُ في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ١٥٧) لم نوافقهُ على نسبتهِ الى القديس يوحنّا مارون استناداً الى نسخة الشرفة وما ذكرهُ اثبت العلماء من جملتهم العلّامة السمعاني في المكتبة الشرقيّة (١ : ٥٢٠ و٢ : ١٢٢) واذ كرّر المسيو بستاهوير آخراً هذا القول في كتاب التقاليد الفرنسويّة في لبنان انكرناهُ عليهِ (ص ٧١٢) . فكتب حضرة القس نبذةً في رسالة السلام (٢ : ٩٩٨) لتأييد رأيهِ . ونحن لا نريد ان نتتبّع حضرتهُ في هذا الجدال . وانّما نعرض عليهِ الدواعي لقولنا : ١ً ان من كتاب الكهنوت نسخةً ثانيةً قديمة في كنيسة اليعاقبة في مديات تصرّح في صدرها بنسبتهِ الى موسى بركيفا . ٢ً انّ العارفين بكتب بركيفا وآرائهِ يستدلّون بسهولة على انشاء هذا الكاتب وافكارهِ اذا قابلوا كتاب الكهنوت مع بقيّة تآليفهِ الطقسيّة . ٣ً وليس عجباً ان رَيْت (Wright) في كتاب الآداب السريانيّة لم يذكر كتاب الكهنوت بين تآليف بركيفا اذ لم يعرف النسختين المذكورتين كما انّهُ لم يذكر ولا كتاباً واحداً للقديس يوحنّا مارون بل لم يدوّن اسمه . ومثله روبنس دوفال . ٤ً انّهُ لا تُعرف نسخة قديمة ورد فيها نسبة الكتاب الى القديس يوحنّا مارون . والنسخة الوحيدة التي ذُكر فيها ذلك هي نسخة الحاقلاني المكتوبة بخطّ يدهِ دون تصريحهِ بالنسخة التي اخذ عنها . وفيها وحدها الزيادات التي اشار اليها حضرة القس يوسف فلا يمكن ان تُتّخذ حجّةً كما شهد على ذلك السمعاني حيث قال (في المكتبة

الشرقيَّة ١ : ٢٠٠ ٥): « يوجد كتاب في الكهنوت في ١٠ فصلاً كتبهُ بيدهِ ابراهيم الحاقلاني ولم نقف على النسخة التي نقلهُ عنها » . وقد أنكر في محلّ آخر انها للقديس يوحنَّا مارون قائلًا (ج ٢ : ١٢١) (non Maronis genuinum opus esse) .

٥ كلّ من ذكر من علماء الموارنة كتاب الكهنوت ونسبوهُ الى القديس يوحنَّا مارون لا يعرفون الّا نسخة الحاقلاني فلا يعوَّل عليها . ٦ نعم نسلّم لحضرة القس يوسف بانَّ كتاب الكهنوت ليوحنَّا الداري هو غير كتاب الكهنوت الذي في النسخة الحاقلانيَّة وهذا ما يؤيّد رأينا بانَّهُ لابركينا . واما قول حضرة القس يوسف بانَّهُ يحتمل ان بركينا نقل هذا الكتاب وادَّعى بهِ فهو بعيد عن عظم مقامهِ بين الكتبة . وعلى كلّ حال نتمنَّى ان يجد حضرتهُ او احد غيرهِ نسخةً قديمة تثبت رأيهُ الّا انَّ العدل يضطرُّنا مع السمعاني والعلّامة ربنودو الشهير الى ان نؤدّي لكل ذي حقّ حقَّهُ ل . ش

﴿ مراقبة الصور المتحركة بالمانية ﴾ عزمت الحكومة الالمانية في بدء هذه السنة على سنّ قانون لمراقبة الصور المتحركة . في البند الاول منه يقال ان كل شريط (film) منها ينبغي تقديمه للفحص الرسمي قبل عرضهِ للجمهور . ولا تُمنح الرخصة بذلك كلَّما يُخشى منه تشويش الأمن العام او تخديش العواطف الدينيَّة او اثارة الاهواء السافلة الحيوانية التي تقود الشبان الى هاوية الفجور متى أُطلق لها العنان . وما عدا كل هذه القرارات فانه يُحظر على عارضي الصور المتحركة ان يُدخلوا في معاهدهم شباناً لم يبلغوا السابعة عشرة من عمرهم فيعرضوا امامهم من الصور ما يُهيّج مخيلتهم ويعس آدابهم

لحبذا القانون الصارم وليت كل حكومات الامم المتمدنة تسنّ مثله صيانة لحياة ابنائها الدينية والادبية !

﴿ سرعة الطيارات في طبقات الجو العليا ﴾ من بضعة اشهر جاء في مقالة للمسيو راتو Rateau تلاها بأكاديمية العلوم الفرنسوية ما يأتي : « في علو ٧٦٣،٥ متراً حيث تنقص مقاومة الهواء يمكن مواصلة الطيران بدون تجديد مؤونة الوقود على مسافة ٣١٥،٠٤ كيلو متراً اعني اكثر من عرض الأتلنتيك . وفي نفس تلك الظروف يتيسر ادراك سرعة ٤٦٣ كيلومتراً في الساعة . والحال ان معظم السرعة التي بلغها امهر الطيارين حتى الآن هي ٢٧٦ كيلو متراً في الساعة . واذا تمكنت الطيارة من حمل

ضعف مؤونتها المعتادة من الوقود فانها تقدر ان تقطع ٦٥٠ ، ٦ كيلومتراً على التواصل في علو ٨،٢٨٢ متراً اعني انها تستطيع ان تجتاز دفعة واحدة المسافة بين باريس وشيكاغو. واذا سارت بسرعة ٤٦٠ كيلو متراً في الساعة التي تدرك في كلا الحالين السابقين تضحي نيويرك على بعد ١٢ ساعة فقط من لندن بدلاً من ستة ايام

﴿عدد السيارات في الولايات المتحدة﴾ قد انتشرت هناك تلك وسائط النقل انتشاراً لا يجاريها به أرقى الاقطار الاوربية تمدناً واعظمها غنى واقدرها صناعة كانكلترة وفرنسة. فوفقاً للاحصاء الرسمي الواقع في غرة تموز سنة ١٩١٩ يبلغ عدد السيارات في الولايات المتحدة ٢٣٣ ، ٣٥٣ ، ٦ . وحيث عدد جميع السكان ١٦٧،١٨٦،١٠٥ فينتج عن ذلك ان لكل ١٦ منهم سيارة!

اما فرنسة فرغماً عن شهرتها بصناعة السيارات ورواج اسواقها في هذا الصنف لا تملك سوى نحو مئة الف سيارة اعني ٦٣ مرة اقل من الولايات المتحدة. وبناء على ذلك لكل ٤٠٠ فرنسوي سيارة

اما اغنى ولاية من الولايات المتحدة بالسيارات فهي نبرسكا (Nebrasqa) وحدها حائزة على ١٨٣،٠٠٠ سيارة. تقريباً ضعف ما لفرنسة! فهناك سيارة لكل سبعة اشخاص! وفي سنة ١٩١١ كان عدد سيارات كل الولايات ٠٠٠ ، ٦٧٧ وفي سنة ١٩١٤ بلغ ١،٧١١،٣٣٩ وفي سنة ١٩١٦ : ٩٩٦ ، ٥١٢ ، ٣ وفي اوائل سنة ١٩٢٠ : ٦،٣٥٣،٢٣٣ . فتكون زادت عشرة اضعاف في ظرف تسع سنوات

﴿تجارة الولايات المتحدة مع اوربة في سنة ١٩١٩﴾ بلغ مجموع الصادرات قيمة ٥،١٨٦ مليوناً من الدولارات منها ٢٢٧٩ لانكلترة و ٨٩٣ لفرنسة و ٤٤٣ لايطالية و ٩٣ لالمانية . وبلغ مجموع الواردات قيمة ٧٥١ مليوناً من الدولارات . منها ٥٠٩ لانكلترة و ١٢٤ لفرنسة و ٤٩ لايطالية و ١١ لالمانية . فيتضح اذن ان الولايات اكتسبت بتجارتها سنة ١٩١٩ مبلغ ٤،٤٣٥ مليوناً من الدولارات!

اما سنة ١٩١٣ فكانت قيمة الصادرات ٢٤٨٤ مليوناً من الدولارات وقيمة الواردات ١٧٩٢ مليوناً . فمن ذلك العهد حتى اليوم زادت الصادرات زيادة ٢٧٠٢ مليوناً ونقصت الواردات نقصان ٧٤١ مليوناً . فلا غرو إذن ان للدولار السبق على كل عملة سواه كالليرة الانكليزية والفرنك وغيرهما

ر٠ن

أسئلة وأجوبة

س سأل احد افاضل البلدة كم هو عدد اهل رومانية وما هي مدنهم الكبيرة
رومانية وسكانها وحواضرها

ج اجرت دولة رومانية احصاء سكانها الاخير سنة ١٩١٣ فكان عدد نفوسها بالغاً ٧،٢٤٨،٠٦١ بزيادة ١،٢٩١،٣٧١ على الاحصاء السابق سنة ١٨٩٧. ومعظم سكان رومانية قرويون يبلغ ٥،٩١٨،٩٢٨ اما قطان المدن فلا يزيدون على ١،٣٢٩،١٣٣ وليس فيها مدن كبيرة غير عاصمتها بوخارست (بقرش) عدد اهليها ٣٣٨،٠٠٠ يليها ياسي ٧٦،٠٠٠ ثم غالاتس ٧٢،٠٠٠

س وسأل الاديب عبدالله ب . الشدياق من ماآلس في كوليبة أتعرف شيئاً عن مستشرق كولومبي يدعى حزقيال اوريكوتشايا توفي في بيروت سنة ١٨٨٠
حزقيال اوريكوتشايا المستشرق الكولومبي

ج هذا تعريب ما ورد باللاتينيّة في سجل كنيسة الآباء الكبوشيين في تاريخ ٢٨ من تشوز سنة ١٨٨٠ : « أسلم نفسهُ للرب في التاريخ المذكور المدعو Ezechiel Uricoechea المولود في حاضرة بوغوتا في اميركا متّحداً بأسرار الكنيسة المقدسة وذلك في مستشفى مار يوحنا بداء السكتة ولهُ من العمر ٤٦ سنة . فدُفن جسمهُ في اليوم التالي في مقبرة الرعيّة » . اما بقيّة اخباره وتآليفه الشرقيّة فلا نعرف منها سوى ترجته لمراطيق المستشرق كسباري نقلهُ من الالمانيّة الى الافرنسيّة فنشره في باريس وبروكسل سنة ١٨٨٠

س وسأل احد القرّاء هل من فائدة من (بزر) العنب والزبيب
(بزر) العنب والزبيب

ج نعم انَّ منهُ فائدةً عظيمة لم ينتبه اليها اهل بلادنا واصحاب الكروم وعرفها الايطاليون منذ ١٥٠ سنة فانهم يستخرجون من هذا (البزر) كميات كبيرة من الزيت فانهم يدقونهُ ثم يبلّونهُ وبعد ان يحمونهُ في مراجل الى ٦٠ درجة يعصرونهُ فيخرج منهُ زيتٌ للصناعة يباع القنطار منهُ من ٥٠٠ الى ٨٠٠ فرنك . ومعدّل ما يُستخرج منهُ في السنة ٢٦٦،٠٠٠ قنطار ل . ش

السنة الثامنة عشرة　العدد ١٢　كانون الاوّل　١٩٢٠

المشرق

القديس ايرونيموس والشرق

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

في ٣٠ ايلول من مثل هذه السنة انتقل الى دار الخلود قبل خمسة عشر قرناً احد آباء الكنيسة اللاتينيَّة وجهابذة العلوم الدينيَّة الكبار نريد بهِ القديس ايرونيموس الشهير الذي لا يزال اركان الدروس الكتابيَّة يستنيرون بنبراس تآليفه المشعة ويقرّ له بالسبق في حلبتها المنصفون من اعداء الدين فضلاً عن ابناء البيعة المخلصين · ولا بدع أن نرى اسم ايرونيموس قد صبر على تيار الدهور بل زاد شرفاً مع توالي الايام بازدياد انتشار آثارهِ وغوص ارباب البحث على دُرَرها الثمينة

ومن ثمَّ لم يشأ رؤساء الكنيسة الكاثوليكيَّة ان يمرّ هذا الوسم الشائق دون ان يقدّموا لصاحبهِ الاكرام الواجب ويحيوا معالم ذكرهِ · وقد سبق قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر وابرز براءةً جليلة البيان بليغة المعاني اتّسع فيها بتعداد مناقب ذلك الرجل العظيم وما اداهُ من الخدم الممتازة للدين والعلوم معاً · ثمَّ خصَّ لتذكارهِ المئوي ثلاثة ايام من هذا الشهر كانون الاوَّل وهي السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر منهُ لتقام في اثنائها اعياد باهرة في امّ المدائن في كنيسة مريم الكبرى حيث يُكرم الرومانيون جسدهُ الطاهر في قبرهِ المجيد قريباً من مذود السيّد المسيح وقد نُقل كلاهما من بيت لحم الى رومية فيرقد ايرونيموس في لحدهِ مجاوراً لآثار سيدهِ كما عاش في حياتهِ في ظلّ مغارة ميلادهِ ·وقد احبَّت عدَّة كنائس وجمعيات كاثوليكيَّة ان تشارك رومية العظمى في هذه الاعياد كما انَّ المجلات الدينيَّة الكبرى حفلت بالمقالات المثبتة بفضل القديس ايرونيموس ومآثرهِ الخطيرة

فما كنَّا بهذه النسبة لنتخلف عن اخوتنا الغربيين بل رأينا ان نمثل في حفلاتهم احتفاءنا الشرقيَّة لما للقديس ايرونيموس من الفضل على الشرق لاسيّما وقد اتخذناهُ في كليَّتنا كشفيع خاصّ لمكتبنا الشرقي لنقتدي بآثاره في تعليم العلوم الكتابيَّة وتدريس اللغات الساميَّة التي سبق اهل بلاده في درسها

وتنويهاً بشكرنا رأينا ان نسطر في مقالة وجيزة ما كان من الروابط بين القديس ايرونيموس واقطارنا الشرقيَّة فنبيّن في فصل اول فضل الشرق على ايرونيموس ثمَّ نلحقهُ بفصل ثانٍ نثبت فضل ايرونيموس على الشرق

١ فضل الشرق على القديس ايرونيموس

انَّ القديس ايرونيموس على خلاف سائر آباء الكنيسة الغربيَّة قد نال من فضل الشرق كثيراً من مزاياه الطيبة وشمائله الحميدة بحيث يسوغ للشرق ان يفتخر بهِ افتخارهُ بأعزّ ابنائه المولودين في مواطنه

رأى ايرونيموس النور في حدود بلاد المجر ودلماتيا في مدينة تُدعى ستريدو نحو السنة ٣٤٠ للميلاد من أسرة شريفة واسعة الثروة. ثمَّ ارسلهُ اهلهُ لما ترعرع الى رومية عاصمة الدنيا وقتئذٍ ليأخذ الآداب والعلوم الرومانيَّة عن مشاهير معلّميها فلم يلبث ان استرسل الى اهواء الشباب وأطلق العنان الى شهوات قلبه دون ان يردعهُ عنها وادع الضمير ولا يزعهُ وازع الدين اذ لم يكن بعد قد اصطبغ بمياه المعمودية. فلمَّا تنصَّر نحو السنة ٣٥ من عمره وجد في العماد قوَّةً تقهر النفس الامَّارة لكنَّها عادت بعد حين فدفعتهُ الى اباطيلها

على انَّ العلوم التي كان تلقَّاها ذلك الشابّ من جلَّة اساتذة رومية اخذت تشغلهُ عن اللّذات الباطلة وتحدو بهِ الى توسيع نطاق معارفه فقام يباشر الاسفار الى انحاء فرنسة والمانية وايطالية لينظر ما فيها من الآثار ويطَّلع على خزائن كتبها فنسخ جانباً منها ونسخ ما سمحت لهُ الفرصة من نقله الى ان بلغ مدينة أكويليسة حاضرة وطنه فوجد فيها بعد غيبته النصرانيَّة مزهرةً والعلوم الدينيَّة رائجةً والآداب الرهبانيَّة نامية فاجتمع ببعض الاصحاب كانوا عدلوا عن رفاه الدنيا وصرفوا فكرهم الى الخيرات الباقية وذاقوا كم هي عذبة طيّبة خدمةُ الله (مز ٣٣: ٩). وكان من جملتهم

كاهن يُدعى ايفغريوس من مدينة انطاكية كان مغرماً بالعيشة النسكيّة يدعو اليها ذوي التُقى والذين اختبروا مرارة العالم الغدّار فآنس ايرونيموس وصافاهُ وحبّب اليهِ الحياة الفاضلة والاعتزال عن زخارف الدنيا والانقطاع الى الله · فعمل كلامهُ في قلب الشابّ الذي رضي ان يزهد في اباطيل دار الفناء· ويتبعهُ الى سوريّة حيث كان كثيرون من اهلها استنكفوا من زهو الدنيا وحطامها وفزعوا الى البراري والقفار ليتمتعوا بمناجاة الله · فكان ارتداد ايرونيموس الى ربّهِ نعمة اصابها على يد احد الشرقيين من ابناء سوريّة

على انّ هذه النعمة كانت كفاتحة نعم أخرى أسبغها الشرق على ايرونيموس · فانهُ بعد ان تنسَّك برهةً في بعض اديرة وطنهِ اجتذبتهُ محاسن الشرق فبرح الاوطان ورحل الى الاراضي المقدَّسة فحجّ اورشليم وتبرَّك بزاراتها الجليلة ثمَّ طاف جهات قيليقية وآسية الصغرى الى ان حطّ عصاهُ في جوار انطاكية شرقيّ نهر العاصي في بادية تُعرف ببادية كلّيس حيث وجد بعض السيّاح فاستنتج سياهم والتزم على مثالهم كلّ فرائض الحبساء من صوم وصلاة وتقشفات واشغال شتَّى ولاسيَّما درس الاسفار المقدَّسة · وحاول ابليس غير مرَّة ان يغلبهُ بتجاربهِ لكنَّ جنديّ المسيح ردَّهُ خائباً بحسن بلائهِ · وممَّا كتبهُ وقتئذٍ واصفاً سعادته في تلك الناسك ما تعريبهُ :

« يا حبَّذا القفر المنسَّق بزهور المسيح · تمسَّت المقلوة التي نُنحتت فيها الحجارة الكريمة التي بها تُبنى دار الملك العظيم · فهُ درُّ العزلة حيث يتمتَّع الانسان بمناجاة ربهِ · · · يا مَن خلبتهُ ملاذ الدنيا الفانية دَعْ عنك وقرها ! حرِّر نفسك من نيرهما · آه كم يسرُّني ان ألقيتُ عني أعباء الجسد لأرتقي الى الانوار الطوبة · يا صاح أتخاف من الفقر ؟ اذكر تطويب المسيح للفقراء بالروح · ابتي مزّنك تعب الجهاد ؟ ولكن كيف ينال الاكليل السرمديّ من لم يُعانِ مشقات الجهاد · أتكريك وحشة البادية ؟ فما ابك الّا ان تعيش بالروح فتذوق نعيم السماء : فاني احسب مع الاناء والرسول المصطفى رومية (٨ : ١٨) » انّ آلام هذا الدهر لا تُقاس بالمجد العتيد ان يتجلّى فينا »

ولم يكتفِ ايرونيموس بما وجدهُ في نسَّاك سوريّة من الفضائل وما اختبرهُ من حسن طريقتهم الرهبانيّة بل احبّ ان يعارضها بسُنَن أماثل الزهاد في مصر اذ كانوا سبقوا الجميع في الآداب الرهبانيّة على مثال اشهرهم القديسين بولا وانطون ومكاريوس وباخوميوس فقصد مصر واجتمع بشيوخ رهبانها واستقصى في البحث عن

طرائقهم ليأتي بها ويطلبها غيرهُ فعرف للشرق فضلهُ في ذلك

لكنّ الله كان يُعدّ عبدهُ الى ما هو اجلّ واجدى نفعاً للعالم لئلّا يبقى نور سراجهِ محجوباً تحت المكيال فأضرم في قلبهِ الرغبة في خدمة الكنيسة اللاتينيّة ونشر العلوم الكتابيّة بين اربابها . فرأى القديس بوجوده في الاقطار السوريّة ما يمكّنهُ من تحقيق امانيهِ . كيف لا وكانت النصرانيّة وقتئذٍ هناك في عزّها واوج مجدها تسطع فيها ضياء عقول نيّرة كالاقمار الثلثة يوحنا فم الذهب وباسيليوس القيصري وغريغوريوس النزينزي وكافرام السرياني وابيفانيوس القبرسي وغيرهم . وكانت انطاكية احد مراكز الدروس الكتابية يؤمّها الطلّاب من كلّ فجّ وكان من جملة معلّميها ابوليناريوس اللاذقي الذائع الشهرة يمثّل تعليمها المخالف نوعاً لغلوّ المدرسة الاسكندريّة البالغة في الرمزيّات فكان يُعنى بشرح الاسفار المقدّسة على لفظها وحقيقة معانيها . فتتلمذ له ايرونيموس دون ان يهمل الاعمال النسكيّة في خلوته واستحسن طريقتهُ التعليميّة وجرى بموجبها في تفاسيره للكتب المنزلة . فكانت هذه منّةً ثالثة استفادها ايرونيموس من شرقنا العزيز . وزادت هذه النعمة فضلاً بما وجدهُ بين علماء الشام من الوسائط لدرس لغات الكتب المقدسة الاصليّة فدرس اولاً اللغة العبرانيّة على من يتقنها ألا وهو ناسك فاضلٌ كان ارتدّ عن اليهوديّة فترهّب . ثم أحصى بعد ذلك في دقائقها بتعليم احد الربّانيين واضاف اليها الكلدانيّة . فأهّلهُ كلّ ذلك الى ترجمة الاسفار الالهيّة

وأحظى الله عبدهُ ايرونيموس في الشرق ايضاً بوهبة اخرى فانّهُ كان بلغهُ ما للقديس غريغوريوس النزينزي من رسوخ القدم في العلوم اللاهوتيّة فصمّم النيّة على قصده في القسطنطينيّة وكان غريغوريوس قد تعيّن عليها بطريركاً فلم تأخذهُ في ذلك لومة لائم حتّى بلغ تلك العاصمة وشفى غليلهُ من مورد حجّها الجليل الذي استقبل ايرونيموس كمعلّم ليس كطالب ولبّى دعوتهُ في كلّ ما عرضهُ عليه وقد نوّه بفضل غريغوريوس عليهِ في كتاباته . ثم طاف القديس في تلك الاثناء في بلاد اليونان واجتنى من معلّميها عدّة فوائد وابحر الى قبرس وصادف رئيس اساقفتها القديس ابيفانيوس واطّلع على تآليفه كما اخذ في الاسكندريّة عن ديديموس احد كبار فلاسفتها

فترى ان الشرق لم يضنّ على ايرونيموس بهباته بل افاض عليه سوابغ نعمه بحيث يسوغ له أن يعتبر ذلك القديس كصنيعته . دعنا الآن ننظر ما ربحهُ الشرق من فضل ايرونيموس

٢ فضل ايرونيموس على الشرق

انّ عرفان الجميل من خواصّ النفوس الشريفة التي لا ترضى بقبول النعمة الا واسرعت الى الشكر للمنعم وسعت بالمكافأة عنها على قدر طاقتها . وما كان ايرونيموس لينسى فضل الشرق عليه ولم يجتزئ باعلان شكره في كتاباته بل اراد ان يؤدي للشرق خدماً جزيلة توازي نعمهُ اليه

واوّل خدمة يحقّ لنا ذكرها انّ ايرونيموس عطّر بلادنا بعرف فضائله مدّة نحو اربعين سنة . فانهُ بعد انقطاعهِ الى العيشة النسكيّة في سوريّة الشماليّة وتجوّلهِ في انحاء آسية الصغرى عاد الى رومية بدعوة الحبر الاعظم دماسوس الذي انتدبهُ الى كتابة اسرارهِ وتنظيم السجلات الرومانية . فلم يسعه الّا الطاعة لرئيس الكنيسة فبقي في وظيفتهِ سنتين الى وفاة القديس دماسوس (١١ ك ١ سنة ٣٨٤) وهو يبث في عاصمة الكثلكة وبين وجوه اهلها من رجال ونساء التعاليم الكتابيَّة ويدعو معارفهُ الى الزهد بالدنيا ولزوم العيشة الرهبانيَّة

فما ملك حرّيتهُ بوفاة البابا دماسوس حتّى حنّ قلبهُ الى الشرق ويمّم بلاد فلسطين ليعيش فيها الى وفاتهِ حابساً نفسهُ لخدمة الله بممارسة الزهد الرهبانيّ ولخدمة الدين بالتآليف الكتابيَّة والمصنفات العلميَّة وذلك في بيت لحم في جوار مغارة ميلاد السيد المسيح . فقضى هناك نحو ٣٥ سنة قدوة بسيرتهِ الصالحة وباعمالهِ المبرورة وسعيهِ المتواصل في الرقي الى معارج الكمال فشرّف الشرق وزانهُ بحلية فضائلهِ

ومما ابداهُ ايرونيموس الاصقاع الشرقيّة انهُ دعا اليها افاضل الغرب ليتنسّكوا بصحبتهِ ففتح لهم ديرًا في بيت لحم قصدهُ كثيرون من نخبة الرومان فانتسوا بهِ واتخذوهُ مرشدًا ومعلماً فانتشر عبير برّهم في كلّ الانحاء حتّى انّ عددًا عديدًا من زوّار الاراضي المقدسة كانوا يعرّجون على دير بيت لحم ليتشرّفوا بمشاهدة رهبانهِ ونيل بركتهم وقد ردّ منهم ايرونيموس كثيرين الى جادّة الفضيلة . وكما سعى ايرونيموس

بانشاء هذا الدير للرجال كذلك عُني مع القديسة پولا الرومانيّة بفتح دير لعذارى العرب بازاء دير الرهبان كان القديس ايرونيموس يتولّى ارشادهُ فاصبح بعد زمن قليل زاهياً نامياً حتَّى ضاق بوفرة السيّدات اللواتي طلبن الترهُّب فيه وكان بينهنَّ الخواتين من سلالة أُسر رومية العريقة في الشرف كسپيرن وفابيوس وكيل ساقهنَّ بمثاله وتعاليمه الى ذروة القداسة منهنَّ القديسة اوستوكية وميلانية ومرتلينة وأَسِلَّا وأَلبينة وغيرهنَّ

ونُعدّ فضلاً عظيماً جاد به ايرونيموس نحو الشرق ما الفهُ في خلوة بيت لحم فانَّ مصنَّفاته توازي مكتبةً واسعة جلبت اليه نظر علماء زمانه فكانت تتوارد اليه رسالات مشاهير بلاد غالية وايطالية وافريقية من جملتهم نابغة عصره القديس اوغسطينوس العظيم · فكان يجيب الجميع عمَّا يعرضون عليهِ من المشاكل المختلفة · وناهيك برسائله هذه دليلاً على سعة علمه فانَّ البعض منها كتآليف قائمة بذاتها

ولم يشرّف ايرونيموس شرقنا بتآليفهِ فقط لكنّهُ خصَّ كثيراً من نتائج فكرهِ بتمجيد الشرق وذكر مفاخرهِ واطراء كبار رجالهِ · فمن ذلك كتابهُ المعنون بالكتبة الكنسيين روى فيهِ اخبار أعيان الشرق والغرب الذين نبغوا بتآليفهم الدينيَّة منذ عهد الرسل الى زمانهِ · ومنها تراجم بعض اولياء الله في الشرق ولا سيَّما ترجمة القديس پولا زعيم السيَّاح وترجمة القديس ايلاريون السائح الفلسطيني والقديس ملكوس الناسك في جهات الفرات · ومنها معجمهُ في تعريف الامكنة المذكورة في الاسفار المقدَّسة وكتابهُ في تفسير الاسماء العبرانيَّة · فكلّ هذه المؤلفات افاد بها بلادنا وكشف في مطاويها عن غوامض تاريخها وجغرافيَّتها جارياً في قسم منها على آثار اوسابيوس القيصري

وما قولنا عن معلومات متفرّقة وفوائد شتَّى ضمَّنها القديس ايرونيموس سائر كتاباتهِ فوصف بها كثيراً من عادات الشرقيين ومعاملاتهم واساليب كلامهم وعيشتهم الاهليَّة وتصرُّفهم مع الاجانب وحرصهم على جمع المال والاتّجار وغير ذلك ممَّا يُطلعنا على احوال بلادنا وسلوك اجدادنا قبل الف وخمسمائة سنة برواية شاهد عياني فنستطيع ان نُقابلها بعاداتنا الحاضرة ونتبيَّن ما ثبت منها وما فُقد بحوادث الزمان · ومثلها العادات والطقوس الجارية في كنائس الشرق وخصوصاً في الاراضي المقدَّسة فانَّ

القديس يفيدنا منها وبعضها اوصفاً مدققاً كالاعياد والفرائض الكنسية والرتب التقوية والاصوام وغير ذلك مما كان يعاينهُ كل يوم

ويلحق بهذا الباب اوصاف عديدة خصّها القديس ايرونيموس بالتاريخ الطبيعي والموالد الثلاثة لا يفوتهُ منها شيء في تفسير الكتب المقدسة . فلهُ في باب الجماد اوصاف للجواهر والحجارة الكريمة والاجسام المختلفة وبعض الاجرام الفلكيَّة وتوسع منهُ باب النبات فعرّف في شروحه على التوراة اصناف النبات والزهور والبقول والاعشاب الطبية والاشجار المثمرة والاشجار العادية . وربما دقق في تعريفها وبيان خواصها كاحد ارباب الطبيعة . ومثلها باب الحيوان فانهُ تتبع اجناسهُ المختلفة من حشرات وزحافات واسماك وطيور وحيوانات اهلية وبرية . فهذه كلها لو جُمعت لأعطتنا بيانا علمياً بمعارف زمانه في كل اقسام الطبيعة لاسيَّما في انحاء الشرق لورود اسمائها في الاسفار الالهيَّة عند كلامها عن فلسطين وسوريَّة ولبنان وطورسينا

ولايرونيموس فضلٌ اعظم من ذلك اسداهُ للشرق وامتاز به ألا وهو جهادهُ ضد البدع والهرطقات التي وجدها في الشرق وناصبها ليمنع سريانها في الاقطار الشرقيَّة . فمن ذلك بدعة اريوس فانها رغماً عن حرمها في المجمع النيقوي ومناهضة آباء الكنيسة لاضاليلها لم تزل تنفث سمها في قلوب كثيرين فكان ايرونيموس من الدّ اعدائها ودافع عن لاهوت السيد المسيح طاقة جهده . وهكذا فعل لما رأى تاودورس المصيصي زارعاً لبذار النسطوريَّة بقولهِ ان للمسيح اقنومين كما ان له طبيعتين فتقدهُ ايرونيموس وافحمهُ واضطرهُ الى الاقرار بغلطه

وممن تولى ايرونيموس تزييف تعاليمهم بعض المتشيعين الى اوريجانوس كروفينوس ويوحنا البطريرك الاورشليمي وغيرهما فانهُ ردَّ عليهم ردوداً متوالية بخصوص الثالوث الاقدس ونفس البشريَّة وكشف عن خبثهم ومهَّد للكنيسة السبيل لرشقهم بسهام الحرم بعد حين في المجمع المسكوني الخامس سنة ٥٥٣

ولم يكد ينجو من شر الاوريجانيين حتى تحمّل عليه منازلة عدوّ آخر قدم الى الشرق بعد ان بثَّ زؤان تعاليمه في جهات الغرب نعني به بيلاجيوس عدوّ نعمة الله . فما شعر ايرونيموس بكيده وبلغت مسامعهُ آراؤهُ الفاسدة حتى تصدَّى له وصنَّف كتاباً للردّ على مزاعمهِ فاحتدم صدر بيلاجيوس عليه غيظاً واجتمع بأعداء القديس

ليطلبوا من حكّام البلاد نفيهُ واذ لم يفوزوا بمرادهم هيَّجوا عليهِ وعلى رهبانهِ بعض الاشقياء فهجموا على ديرهم واساؤوا الى سكّانهِ ونهبوهُ واحرقوا قسماً منهُ وطلبوا الرئيس ليقتلوهُ لكنَّهُ نجا من ايديهم بعناية من الله . ثمَّ قصدوا دير الراهبات وكنَّ فررنَ هاربات ففعلوا فيهِ فعلهم بدير الرهبان

أثَّرت هذه الامور في ايرونيموس وذويهِ ايَّ تأثير فقاسوا مدةً آلام الفقر المدقع وسوء السكن . ولمَّا عرف البابا القديس اينوشنسيوس الاوَّل بما جرى وبَّخ البطريرك الاورشليمي على تغاضيهِ عن حقوق الرهبان وحرم المبدعين وعزَّى المضطهدين لاجل البرّ . وفي تلك الاثناء توفّي يوحنَّا الاورشليمي (٤١٧م) وأُقيم لهُ خلفاً پراياوس فأنصف الرهبان وساعدهم في استئناف اعمالهم . وخرج ايرونيموس من تلك العاصفة مكلَّلاً بتاج الشهادة لمقاساتهِ الاهانات والعذابات في سبيل الايمان

لكنَّ الاوجاع لم تكسر عودهُ ولم تثبطهُ عن الذود عن حياض الدين المستقيم مع ما اصابهُ وقتئذٍ من اعياء الشيخوخة ووطأة الاسقام فانَّهُ بقي الى آخر نسمة من حياتهِ يرشد ويؤلف ويعلم فمات (في ٣٠ ايلول ٤٢٠) كالجندي الباسل والقلم في يدهِ مزوَّداً بكل اسرار البيعة التي تعدُّهُ من اشرف ابنائها واعظم حماتها . امَّا الشرق الذي بادلهُ بالفضل فانَّهُ اعتبر وفاتهُ كرزء وطني لكنَّهُ نسب الى حسن طالعهِ ان يحفظ في ظهرانيهِ ذخائرهُ المقدَّسة ويرى قبرهُ ممجداً مدَّة سنين طويلة قبل ان يُنقل جسدهُ الطاهر بأمر الكرسيّ الرسولي الى امّ المدائن

والحقّ يقال أنَّ من خلّف آثاراً جليلة كالقديس ايرونيموس لم يمت ويصحُّ فيهِ قول الكتاب في هابيل (عبر ١١ : ٤) : « فهو ان مات لا يزال يتكلَّم » بل يزأر كالاسد وقد اشار الى ذلك احد المصوّرين البارعين المسمّى بالدومينيكان « Le Dominiquain» اذ جعل تحت اقدام القديس في صورتهِ تمثال الاسد ولا غرو فانهُ حقًّا اشبه سلطان السباع بنخوتهِ وثبات جنانهِ وجرأة مُقدَمهِ فسمع زئيرهُ الى اقاصي الارض فرجفت لهُ فرائص المبتدعين وسُرَّت قلوب المؤمنين . فيحقُّ للشرقيين ان يشاطروا ابناء الغرب في اكرامهم لضيفهم الشريف وقد عرفوهُ مدَّة السنين الطوال اصدق نصير الحقّ واشدّ مزهق للباطل نفعنا الله بشفاعتهِ

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

سفارة الاب يوحنا ايليانو الى الموارنة ١٥٨٠–١٥٨٢ (تابع)

الاب ايليانو والبطريرك سركيس الرزي

كان انتخاب البطريرك سركيس كنهضة جديدة للطائفة المارونيَّة في لبنان فباشر بتدبيرها بكل نشاط وغيرة فوافقت اعمالهُ ما كان مأمولاً منهُ ومضاهياً للثقة بهِ . واوَّل ما قصد القيام بهِ زيارة ابنائهِ المتفرّقين في انحاء الجبل برفقة القاصد الرسولي الذي اثنى على اعمالهِ وهمّتهِ في رسالةٍ وجّهها الى الكردينال كرافًا ومما قالهُ هناك «انَّ السيد البطريرك منح سرَّ التثبيت للاحداث واوجب عمادهم بعد ميلادهم بأيَّام قليلة خلافًا للعادة الجارية بتأخير العموديَّة زمنًا طويلًا وحظر على الكهنة ان يُعطوا القربان الاطفال قبل سنّ الرشاد لسوء عقبى ذلك الامر وكرَّر على مسامع الجميع عقيدة المشيئتين والفعلين في اقنوم السيد المسيح •

ولدينا رسالة اخرى كتبها الاب ايليانو الكردينال كرافًا ذكر فيها مفصلًا ما صنعهُ مدَّة السنة التي قضاها مع الاب برونو في لبنان ليطّلع عليها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر فيعلمهما أيريد منهما غير ذلك ام يأمرهما بالرجوع الى رومية فقال : هذه خلاصة الامور التي انجزناها في مدَّة سفارتنا الى الموارنة :

١ً قد عُقد المجمع المليّ

٢ً انتشر بين العموم كتاب التعليم وغيرهُ من الكتب الكاثوليكيَّة

٣ً درجت بين الاكليروس رتبة تكريس الميرون ومنح المسحة الاخيرة

٤ً قد تمَّت زيارة الطائفة الَّا بعض الامكنة البعيدة كدمشق وحلب فوجّهنا الى اهلها الرسائل المطوَّلة ريثما نتمكَّن من زيارتهما بعد عودتنا من زيارة القدس

الشريف وكذلك جزيرة قبرس نزورها في عودتنا الى ايطالية حيث ترسو السفينة في مرفأها من ١٥ الى عشرين يوماً

٥ً قد اطّلعنا على كثيرٍ من مخطوطات الموارنة الطقسيّة والدينيّة

٦ً وانتزعنا منها جدولاً نصصنا فيهِ على الاضاليل التي وجدناها في تلك الكتب وقد ارسلنا لنيافتكم نسخة من هذا الجدول

٧ ثمّ راجعنا مع ارباب الطائفة تلك النصوص الفاسدة فوافقونا على بطلانها

٨ً اهتممنا بالغاء عادات سيئة مخالفة للآداب الدينيّة

٩ً قد أُرسلت الى جميع الكنائس تنبيهات ومعلومات عموميّة مع امر السيد البطريرك بالسير على موجبه

١٠ واخصّ ما ألفتنا اليهِ نظر الكهنة معرفة مادّة الاسرار السبعة وصورتها

١١ً اهتممنا خصوصاً بفتح مدارس للاحداث في عدّة امكنة

١٢ قد ارسلنا اخيراً الى رومية بعض اولاد الطائفة ليتخرّجوا هناك في الآداب الكهنوتيّة

«وان بقي شيء بعد ذلك سنصرف جهدنا باتمامهِ بعد زيارتنا للاراضي المقدّسة ان شاء الله ثمَّ نكرّ راجعين الى ايطالية في ربيع السنة القادمة (١٥٨٢) ان حَسُن الامر في اعين قداسة الحبر الاعظم · ولا نرى في تأجيل رجوعنا خيراً لما يُحدق بنا من الاخطار · فانّ الغرباء قد بلغهم وجودنا في الجبل ووقفوا على سبب مجيئنا وعرفوا من هو الذي ارسلنا الى هذه الاطراف · ولا شكّ بان سينالنا من قبل امراء البلاد من جرّاء ذلك عدّة اساءات واما السيد البطريرك فصيبهُ لاجلنا مشاكل مؤلمة · فالاولى ان نبرح الشرق عاجلاً ·

زيارة الاب اليانو الى القدس ثمَّ الى دمشق

كانت غاية الاب اليانو من سفرهِ الى القدس الشريف مع الاب يوحنا برونو اولاً التبرُّك بشاهدة قبر السيد المسيح · وثانياً زيارة من هناك من الموارنة · وثالثاً التباعد مدّة عن لبنان من وجه المترصّدين لسفير الكرسي الرسولي والمضمرين له الشرّ الى حين ورود جواب الحبر الاعظم على رسائلهِ

ابحر المرسلان من طرابلس الى يافا في العشر الاخير من شهر تشرين الثاني كما يستفاد من رسالة للاب اليانو مؤرخة في ٢٣ منه سنة ١٥٨٠ كتبها لرئيسه العام وهو الاب كلوديوس اكواڤيڤا الذي كان أُقيم خلفاً للاب مركوريان المتوفّى في غرّة آب ١٥٨٠ فمُهدت اليه رئاسة الرهبنة في ١٩ شباط ١٥٨١ . وكان دخولهما المدينة المقدسة في سلخ الشهر ونُزُلا ضيفين كريمين على رهبان القديس فرنسيس ووجدا لدى رئيسهم حضرة الاب انجلو ستلا البندقي كلّ كرامة ووداد وشفيا غليلهما من معاينة كل الامكنة المقدّسة واكرام أسرار حياة وآلام وقيامة السيّد المسيح

ثم زارا الموارنة المستوطنين القدس وكان عددهم قليلاً لهم دار ابتاعها البطريرك موسى العكاري نحو السنة ١٥٦٥ بعد أن وضع القبط ظلماً يدهم على كنيستهم المبنية على اسم مار جرجس الشهيد

وممّا روى الاب اليانو ان رئيس الاراضي المقدّسة وكلَ اليه فحص كاهنَين قدما من جبال الوصل وطلبا ان يقدّما الذبيحة على القبر المقدس. فوجدهما المرسلان من تبعة النساطرة واخذا يرشدانهما في حقيقة الايمان الكاثوليكي الى أن اقنعاهما بوحدة الاقنوم في السيد المسيح وبعقيدة امية البتول والدة الله فجحدا بدعة نسطور بتلاوة دستور الايمان الذي عرّبه لهما الاب اليانو وطلب صورته منه رئيس الآباء الفرنسيسيين ليفرضه عند الحاجة على زوّار النساطرة

*

كان رجوع الاب اليانو ورفيقه من القدس الشريف الى لبنان في اواسط كانون الاوّل ١٥٨١ على طريق البرّ ليزورا الموارنة في دمشق الشام وسيما يردّ بطريرك الروم الى الوحدة الكاثوليكيّة كما اوصاهما الكردينال سان سفرينو

كانت دمشق في ذلك العهد تحت حكم الدولة العثمانية منذ ٦٦ سنة يتولّى تدبيرها ولاة يسليهم السلطان ثمَّ يعزلهم في السنة مرّتين او ثلاث مرار فيبيعون منه منصبهم ثمَّ يتقاضون بالربا مالهم بظلم الرعيّة وتعميم الرشوة. والنصارى كما لا يخفى في مقدّمة المظلومين

سُرَّ الاب اليانو بنظر تلك المدينة الشهيرة عاصمة برّ الشام وجنّة الشرق الفيحاء.

لكنّهُ اسف لِما رآهُ من سوء حالة الموارنة فيها ولِما يلحقهم من المظالم فبذل السعي في نهض هممهم وتجديد نشاطهم ولا سيّما في إحياء عواطف الدين في قلوبهم فعرض عليهم ما اتّفق عليه آباء مجمع قنّوبين سواء كان من جهة المعتقدات ام من طرف الآداب والتهذيب فوجدهم جميعاً طوع بنانهِ خاضعين طائعين لامر رؤسائهم وتعاليم الكرسي الرسولي فشكر الله على حسن انقيادهم وطيب عنصرهم. ولم يجد في دمشق اسقفاً للموارنة لأن المطران جرجس البسلوقيتي الذي كان سامهُ البطريرك ميخائيل الرزي على الشام سنة ١٥٧٧ كان يقيم في قنّوبين

ثم اخذ الابوان يبحثان عن اقرب واسطة للتقرّب من الروم وكانت اذ ذاك احوالهم الدينيّة في اضطراب عظيم لانقسام الطائفة بين بطريركين ميخائيل السابع ويواكيم الخامس فانّ الدمشقيين لعداوة وقعت بينهم وبين بطريركهم ميخائيل لتُهَم اتّهموه بها سعوا بنفيهِ واختاروا بدلاً منهُ يواكيم ضوء مطران طرابلس فجلس هذا على سدّة بطريركيّة انطاكية وحصل بذلك مشاحنات وشرور عظيمة وغرامات اموال لم تنتهِ الى سنة وفاة ميخائيل نحو السنة ١٥٨٣

فالى يواكيم المذكور كتب الاب اليانو طالباً منهُ ان يسمح لهُ بزيارتهِ مع الاب بردنو باسم الحبر الاعظم واسم الكردينال سان سفرينو محامي الطائفة اليونانيّة فاجاب البطريرك انّهُ يُسَرّ بمشاهدتهما ثمّ عيّن لهما يوماً استقبلهما فيهِ مع اعيان طائفتهِ ورحّب بهما. فدار الحديث عن الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر ومحبّتهِ نحو طوائف الروم واليونان الذين انشأ لاجلهم في رومية العظمى مدرسة كبيرة لتخريج الشبّان وقصدهُ ان يرسلهم لمساعدة بني ملّتهم. ثمّ اسهبا ببيان رغبة الحبر الاعظم في اتحاد الكنائس الشرقيّة بالكنيسة الغربيّة وما ينتج عن ذلك من الفوائد الجمّة للروم. ولمّا اعترض احد الحضور على الكنيسة الرومانيّة باعتقادها انبثاق الروح القدس من الآب والابن اسرع الاب اليانو واثبت معتقد اللاتين بهذا البرهان البسيط ذي الحدين: اما انّكم تقولون انّ الابن هو مساوٍ للآب وامّا انهُ اصغر منهُ. فقالوا: انّ الابن هو مساوٍ للاب. فاردف الاب اليانو قائلاً:

«فان اكّدتم انهُ مساوٍ للاب لا بُدَّ ان تقولوا انّ الروح القدس منبثق من الاب والابن لأنّ الانجيل يصرّح بأنّ كلّ ما هو للآب هو ايضاً للابن فانبثاق الروح

القدس هو اذن من كليهما كمن مبدإ واحد» . فاشار البطريرك الى احد علمائهم كي يعلن رأيهُ في هذه القضيّة فـانتصب قائلًا : « انا أرى انَّ الابن اصغر من الآب » فتعجّب المرسلان من قولهِ فقالا : «أفلا تعلم انَّ هذه بدعة آريوس التي حرمها المجمع النيقاوي والتي يضادُّها قانون الايمان الذي تتاونهُ في كنيستكم» . فانقطع عن الكلام وبقي الحضور في الحيرة صامتين . وكان حضر مع المرسلين بعض الموارنة فسُرُّوا لانتصار الحقيقة وخرج الاب اليانو دون ان ينال وعداً صريحاً من البطريرك بامر الاتّحاد . ولمَّا عاد اليه بعد ذلك وحرَّضهُ على تلبيـة دعوة الحبر الاعظم كان جوابهُ انهُ لا يستطيع ان يصنع شيئاً دون الاتّفاق مع بطريرك القسطنطينيَّة وانَّما رضي بكتابة رسالة الى الحبر الاعظم يشكرهُ فيها على لطفهِ وسرورهِ بمشاهدة قاصدهِ وشفعها برسالة ثانية للكردينال سان سڤرينو . فارسل الاب اليانو المكتوبين الى رومية مع ترجمتها عن اصلها العربي

رجوع الاب اليانو الى لبنان

رجع الاب اليانو والاب برونو الى لبنان قبل عيد الميلاد من السنة ١٥٨١ وقضيا فصل الشتاء والربيع من السنة المقبلة في طرابلس حيناً وفي قنّوبين حيناً آخر ينتظران موعد سفر المراكب الى ايطالية في نيسان

ولكنَّهُ وردت اليهما رسائل من الاب اكواڤيڤا رئيسهما العام ومن الكردينال سان سڤرينو يوعزان اليهما بان يعود الى ايطاليـة الاب برونو مع الاخ ماريو (وكان هذا قد أُوفد حديثاً اليهما) لِيطلعا الحبر الاعظم على نتيجة السفارة الى لبنان . وامَّا الاب اليانو والاخ بروديتو فقد تقدَّمـا اليهما بان يُبحرا الى مصر لخدمة الكنيسة . لأنَّ بطريرك الاقباط كان قرَّر بان يتَّحد هو وشعبهُ مع رومية بالايمان المستقيم

رأى الاب اليانو في هذا الامر بالسفر الى مصر مشاكل اراد ان يعرضها على رئيسهِ العامّ وعلى نيافة الكردينال سان سڤرينو ليكونا على بيّنة من احوال الاقباط لأنهُ كان قبل سفارتهِ الى لبنان سنة ١٥٦١ أُرسل مع الاب كرستوف رودريكس الى القطر المصري فقاسيا المشقّات العظيمة ليردَّا بطريرك الاقباط وقومهُ الى حجر الكنيسة فوجدا بعد العناء الشديد انَّ القبط جارون بالرياء وعـدم الاستقامة لا يطلبون من

رومية سوى المنافع المادية والمساعدات المالية ومن ثمّ لا فائدة من تكرار هذا السفر مع كثرة اخطارهِ . وعلى كلّ حال أذن الاب باستعدادهِ لاتمام اوامر رؤسائهِ ان ثبتوا على رأيهم

لم يشأ الاب اليانو ورفقتهُ ان يبقوا دون عمل الى حين سفرهم فخصّوا قسماً من زمنهم في زيارة اديرة الرهبان فحاول القاصد الرسولي جهد استطاعتهِ ليُصلح احوالهم وينظّم سلوكهم ويسنّ لهم القوانين الرهبانيّة الموافقة ادعوتهم وهو يذكر في رسائلهِ ما أنفقهُ على كلّ دير من الحسنات ليسدّ عوز رهبانهِ والمبالغ التي استدانها لهذه الغاية

وفي تلك الاثناء بذل سعيهُ لدى السيد البطريرك والاساقفة واعيان الطائفة بان يصلحوا تاريخهم السنوي على موجب الحساب الغربي الجديد الذي كان قرّرهُ الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر وأمر بان يبتدئ الاصلاح في تشرين الاول من تلك السنة ١٥٨٢ فيحسب اليوم الخامس منهُ اليوم الخامس عشر (١

فكان الكردينال كرافا محامي الموارنة كتب في ذلك الى الاب اليانو لكي يقنع رؤساء الطائفة المارونيّة باتخاذ ذلك الاصلاح كما امر ايضاً الحبر الروماني بان يعلن الرهبان الفرنسيسيّون بذلك الحساب في مصر وفلسطين وانحاء الشام

على انّ الاب اليانو والرهبان الموما اليهم بعد ان فاوضوا مع رؤساء الكنائس تحقّقوا ان ذلك التغيير ينشئ حاضراً موانع كثيرة وتهييجاً على الكاثوليك من قبل الاتراك والطوائف المنفصلة عن رومية بحجة كونهم تبعوا الفرنج فتآمروا على الدولة .. ومن ثمّ وجب تأجيل ذلك الاصلاح الذي لم يتمّ الّا بعد ٢٤ عاماً في السنة ١٦٠٦ على عهد البطريرك يوسف الرزّي فجرى وقتئذٍ في الشام وحلب وبقيّة المدن ما خلا جزيرة قبرس (٢ امّا بقيّة الطوائف الكاثوليكيّة فلم تتبع الحساب الغربيّ الّا في القرن التاسع عشر

وممّا اهتمّ بهِ ايضاً القاصد الرسوليّ مسألة « الموارنة البيض » التي يعود اليها لغير مرّة في كتاباتهِ . ولعلّك تطلب ومن هم الموارنة البيض ؟ دونك ما كتبهُ الاب

(١) راجع مقالة الاب كوتنجت في اصول الحساب السنوي (في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٢٥ – ٢٣٠) ؛

(٢) الطلب تاريخ الدويهي (ص ١٨٥)

الياتو الى الكردينال كارافا : « ان عدداً ليس بقليل من موارنة لبنان ممّن يسكنون بجوار المسلمين تظاهروا في انحائهم خوفاً منهم ومراعاةً لهم بالدين الاسلامي وتعمّموا بالعمامة البيضاء. فدُعوا لذلك بالبيض وهم في الباطن نصارى يعلنون بدينهم كلما وُجدوا بين اهل ملّتهم فيتقرّبون من الاسرار كالنصارى ولا يجسر ارباب الطائفة ان يحرموهم في ذلك لئلّا يشتهر الامر بين الاتراك فينالهم بسببهم أذى وهوان · فهولاء يمرجون على الجانبين · فبيّن لهم المرسلان اليسوعيان ان المسيحي لا يجوز له المراء فيجب عليه ان يتحاشى ما يحمل ظنّ الناس به انه جحد دينه · فكلامه هذا اثّر في البعض منهم فقط فاستشار الاب الياتو الشيخ يوسف حبيش في طرابلس وطالب اليه ان يتدارك الامر ويسعى به لدى الامراء بني عساف سادته والاتراك اصحابه علّهم يمنحون الحرّية لهولاء الموارنة بان يجاهروا بإيمانهم علانية دون خوف

وصلت رسائل الاب الياتو الى رومية وفهم الروساء ان بعثة الى الاقباط ضررها اعظم من خيرها فورده جواليهم في ايار سنة ١٥٨٢ انه لا بأس من رجوعه مع رفقته الى رومية · وكان موعد اقلاع السفينة من طرابلس في ٧ حزيران فتحفّز للسفر · ثمّ بلغه ان السفينة المذكورة سوف تبحر الى قبرس وانها ستبقى هناك الى شهر آب · فبقي المرسلون محتارين لا يعلمون اينتظرون مركباً آخر يسافر رأساً الى البندقيّة او يركبون هذه السفينة · فانتهى الخلاف بينهم بان يسافر الاب يوحنّا برونو مع الاخ مـريو الى قبرس ويبقى الاب الياتو مع الاخ برنردينو في سوريّة الى شهر آب · وهكذا تمّ

وجاء في تاريخ الدويهي (ص ١٤٤) ما يوهم بسفر الاب برونو في السنة السابقة اي ١٥٨١ قال بعد ذكره انتخاب البطريرك سركيس الرزّي لرئاسة الشعب :

« وحينئذٍ كلّفوا جوان برون ان يذهب من قبلهم الى رومية ليؤدي عن بطريركهم واجب الطاعة ويطلب له درع التثبيت وانفذوا معه كتابات الى غريغوريوس الثالث عشر والى وكيل الطائفة الكردينال كارفا · واخذ جوان برون معه اربعة اولاد . . . ولما انتهى جوان برون الى رومية سلّم رسائل البطريرك الجديد واعيان الطائفة الى قداسة البابا · وفي الخامس من شهر آذار في سنة ١٥٨٣ ارسل البابا للبطريرك سركيس كتابة التثبيت على كرسي انطاكية وكتابة أُخرى لاسقف طرابلس ليلبسه الدرع المقدّس ويقبل منه يمين الطاعة »

والصواب ان الاب يوحنّا برونو لم يسافر من سوريّـة الّا في ٧ حزيران ١٥٨٢

وكان وصوله الى رومية في ايلول . اما تثبيت البطريرك سركيس ومنحهُ درع الرئاسة بطلب الاب المذكور ووساطة الكردينال كرافا فحصل في آخر يوم من آذار سنة ١٥٨٣ (لا في ٥ آذار ١٥٨٢) وذلك مشروح في براءة غريغوريوس الثالث عشر التي تاريخها في اليوم المذكور (اطلب مجموع البولات المارونية للقس طوبيا العنيسي ص ٨٩—٩١)

سفر الاب اليانو الى حلب

اقبل الصيف واشتدَّ الحرّ على سواحل لبنان فرأى الاب اليانو ان الوقت مناسب لزيارة الموارنة في حلب والاجتماع فيها مع بطريرك اليعاقبة كما اوصاه بهِ الكردينال سان سفرينو ونوى بهذا السفر ايضاً ان يختفي عن جواسيس الاتراك كما فعل بسفرهِ الى القدس . فارسل الاخ برزدينو الى قنّوبين ليقوم بخدمة البطريرك واماً هو فسافر وحدهُ براً الى الشهباء . فحطّ فيها الرحال في ١٥ تمّوز من السنة

كانت حلب في ذاك الوقت من اعظم مدن الشرق واغناها وأروجها تجارةً : اليها تنتهي كنوز الهند والعجم وما بين النهرين وبها تجتاز قفول الشام والعرب ومصر والارمن ويتجاوز عدد اهلها الثلثمائة الف وكان النصارى منهم نحو اربعين الفاً بينهم زهاء مائتي عائلة مارونية . وقد اخبر الاب اليانو في رسالته الى الكردينال كرافا والى رئيسهِ العام في تاريخ ١ آب ١٥٨٢ ان موارنة حلب تحفّوا بهِ وبالغوا في اكرامهِ وقبلوا بكل خضوع ودعة اوامر مجمع قنّوبين وأذعنوا لكل التنبيهات التي أرسلت الى الكنائس في لبنان وانهم اتوهُ بكتبهم الدينيَّة ليُصلح فيها ما يراهُ منافياً لتعليم الكنيسة . وسُرُّوا اي سرور بما اهداهم لكنيستهم من الحلل الكهنوتيَّة . اما سر التثبيت فانهُ ينتظر مجيء احد اساقفة لبنان ليمنحهُ لصغارهم واردف بقولهِ انَّ الطوائف الشرقيَّة كثيراً ما تسهو عن توزيع هذا السرّ . ووجد في حلب اولاداً نجباء اختار البعض منهم ليرسلهم الى رومية ليترشحوا فيها للكهنوت . ومما توفّق اليهِ هناك انهُ لقي شمَّاساً بارعاً في اللغة السريانيَّة فاخبر الكردينال كرافا بانهُ سيصحبهُ معهُ الى رومية لمراقبة المطبوعات الطقسيَّة التي نشرها للموارنة

وانتهز الاب اليانو فرصة سفرهِ الى حلب ليزور من فيها من تجار الفرنج فبذل مجهودهُ في تحريضهم على ممارسة واجبات دينهم ووزع عليهم الاسرار (له بقيَّة)

بَرْدَيْصان وبدعتهُ

نظر تاريخي فلسفي للاديب رزق الله افندي غنيمة البغدادي

سبق لنا في المشرق (ص ٧٢٩و٧٣٠) في مقالتنا عن القديس افرام ذكر برديصان المبتدع فاحبَّ جناب مكاتبنا البغدادي ان يروي في هذه النبذة ما ورد عنهُ وعن بدعتهِ في التاريخ ل . ش

ترجمة المبتدع :

ان برديصان المبتدع الشرقي البعيد الشهرة أحدث في عهدهِ جلبة اقلقت العلماء الكنسيّين وشحذت قرائح معلّمي النصارى وانتبهم لمناضلتهِ وتقويض دعائم بدعتهِ التي راجت سوقها وانضوى الى لوائها عددٌ عديد من اهل الرُّها وما جاورها من الاصقاع . ألَا ان الذين تعرَّضوا لـذكر هذه الفئة هم نفرٌ من الناس . ولقد اخذني العجب عند ما طالعت في دائرة المعارف للبستاني في مادة « ابن ديصان» ما جاء هناك من وشل الاخبار واختلاط بعضها ببعض . فالكاتب لا يميّز بين برديصان الرهاويّ وبين ميمون بن ديصان جد صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة الذي عاش بعدهُ بعدَّة قرون . فسدًّا لهذا الخلل احببتُ ان اعرّف ابناء قومي بهذا المبتدع الطائر الصيت وقد اعتمدت لهذه الغاية على اصدق المصادر واثبتها من شرقيَّة وغربيَّة

روى ثيودور برخوني (احد كتبة النساطرة في اواخر القرن الثامن (١) عن اصل برديصان ما مفادهُ : قال بعضهم : ان اصـل برديصان من منبج وذهب غيرهم الى انه من اربل وارتأى فريق آخر الى انه ولد في الرُّها من كاهنَين وثنيَّين على نهر دَيْصان عند ما قدما اليه فسُمي بذلك النهر واسم ابيه نُخاما واسم امه نوهشيرم اه . وقد اختلف المؤرخون في تاريخ مولـده فايليا مطران نصيبين يقول انه ولد في ١١ تموز سنة ١٣٤ م اما تاريخ الرها وتاريخ ابن العبري الكنسي فيجعـلان مولده سنة

---

(١) اطلب ما كتبهُ عنهُ المسيو بريون في كتابهِ المثون Pognon : Inscriptions Mandaïtes des Coupes de Khouabir

١٥٤ . والمرجح التاريخ الاخير لأن المؤرخين اتفقوا على انه عاش ٦٨ سنة وان وفاته حدثت سنة ٢٢٢ م

وقد جاء عنه انه كان من أُسرة شريفة الإِنجار وقد نشأ في صغره على الدين الوثني وتفقَّه في آدابه على احد الكهنة المنجّمين ثم دان بالنصرانية ودرس كتبها ولا يُعرف في ايّ سنة دان بالنصرانية وجلُّ ما يُعرف عنه انه اهتدى اليها في شبيبته . وبعد ان تضلّع من العلوم الدينية كَهَن . وكان أليفَ طفولة أبجر بن معن امير الرها وحليف صبوته (١٧٩—٢١٥) وعلى رأي القديس ابيفانس هو الـذي سعى في تنصُّر هذا الامير . ومن وقف على تاريخ هذا الرجل يأنس من اخلاقه وميله حبَّ الكبر والطموح الى الجاه العالميّ . وهذا ما دفعهُ الى إحداث تعاليمه وكان يتوق الى درجة الاسقفية خلافاً لما ذهب اليه البستاني في دائرته انه كان اسقفاً . الّا انهُ حال دون رغبته عقباتٌ جعلت هذه المنزلة بمناط الثريا فصبأ الى الوالنطية . اما سيرتهُ فقد قال عنها مار افرام السرياني : « كان روحُ العالم قد نفخ برديصان وخلبت ابَّهُ البهرجة والأُبّهة » . وقال موسى الخوريني : « كان برديصان رجلًا غيورًا على مصالح النصرانية وقد بذل مساعي الجدّ والجهد في ادخال الارمن اليها » . وعلى كلٍّ فانَّ القديس افرام يظهره لنا بمظهر الهرطقة وموسى الخوريني يمثله لنا عندما كان على النصرانية قبل ان يتطوح في العقائد الفاسدة

وهنا يعرض لنا مشكلٌ آخر يجب علينا حلّه وهو في ايّة سنةٍ دخل برديصان الوالنطية (وهي بدعة والنطوس) ؟ لم تذكر التواريخ التي بيدنا شيئاً صريحاً عن هذه السنة ولكن يمكننا ان نستنتج ذلك من المقابلة الآتية وهي ان القديس ابيفانس يخبرنا ان برديصان حمل الامير ابجر التاسع على النصرانية سنة ٢٠٦ فيبين ان في هذه السنة لم يكن برديصان قد مرق والّا لاجتهد في ضمّ امير الرُّها الى حزبه تقويةً لشيعته . ولما كان ابن العبري يذهب الى ان وفاته وقعت سنة ٢٢٢ بعد ان عمّر نحو ثمان وستين سنة فالارجح اذًا انه مال الى الوالنطية بعد وفاة الامير ابجر اي سنة ٢١٥ وعليه فلم يبقَ في المذهب الجديد الّا نحو سبع سنوات ولمّا كان تشيُّعه للوالنطية لم يشبع اهواءه الميّالة الى كسب الشهرة والنبوغ بين ظهراني قومه عمد الى نشر بدعة جديدة تُنسب اليه وتُعرف باسمه فغيّر في اصول الوالنطيّة واضاف اليها غير النزر من

المذاهب الثنويّة التي كانت مبثوثة في الجزيرة قرنئذٍ وهكذا نشأت الديصانية او البرديصانية كما يسميها السريان

وكان لترجمنا إلمام في فنّ التنجيم وقد صبأ اليه منذ صباه ولمّا وقف على تُرّهاته تبذه نبذ النواة وجنح الى درس الفلكيات وكتب فيه نبذةً حسنةً اغتالتها يد الضياع ولم نعرفها الّا بشواهد استأها منها المؤرخون الذين عقبوا صاحب الترجمة

ويُنسب اليه اختراع الشعر السرياني وبحوره وقد ألّف مائة وخمسين قصيدة عامرة الابيات يذكر عددها مار اقرام السرياني وله مقالات رنّانة ونبذ طنّانة في دحض الهراطقة قبل ان يتدهور في البدع الثنوية (١ . ويُنسب اليه استنباط أبجدية سريّة (٢ . وقد نسب اليه ابن النديم في كتاب الفهرست الكتب الآتية : « كتاب النور والظلمة وكتاب روحانية الحق وكتاب المتحرك والجماد » ثمّ قال : « له أيضاً كتب كثيرة ولروساء المذهب في ذلك ايضاً كتب ولم تقع الينا (٣ » . الّا ان المستشرقين لا يثقون بشهادة ابن النديم ومروياته عن هذه الكتب نظراً الى المدّة الطويلة التي بين المترجم والمترجم (٤ . واغلب هذه الكتب لم يبق منها باقٍ الّا كتاب واحد في شرائع البلاد المختلفة وقد عرفهُ بعضهم بكتاب القدَر وعليه اليوم التعويل في درس المذهب المذكور كما سترى . وقد نسب اليه موسى الخوريني كتاب تاريخ ارمنية وكتاباً عن الهند اعتمد فيه على الأنباء التي اعطاه اياها سفراء الهند الذين قدموا على هليوغبال القيصر الروماني .

٢ : تاريخ بدعته

ان الديصانية او البرديصانية قد جرت شوطاً بعيداً في ديار بين النهرين وكان لها أتباع شايعوها مدة طويلة والّفوا فيها الكتب الضخمة وناضلوا عنها وسعوا السعي الحثيث في سبيل نشرها وبث عقائدها بين ظهراني قومهم . واوّلهم صاحبا الترجم

١) راجع تاريخي ابن العبري وميخائيل الكبير ٢) يذهب روبنس دوفال (R. Duval) في كتابه نحو اللغة السريانية ان الابجدية السرّية هي عبريّة الأصل الّا ان الظاهر انها آراميّة الاصل فأخذها العرب وسموها « علم اسرار الحروف » وهو عندهم فرع من علم السيمياء.
٣) راجع ص ٣٣٩ من كتاب الفهرست طبعة فلوجل ٤) روبنس دوفال ص ٢٤٣

الذي اجهد قريحتهُ في نظم الشعر السرياني وانشأ القصائد ونسج برود الاغاني التي تذيع مذهبهُ وتروي مجدهُ فطرب بها الكبار وافتتن بها الصغار ونقر على اوتار قلوب ذوات اليسار فأغواها واثار بها شواعر ذوي الغرام. فاستأثر بها وخلب لبّ الجميع بفصاحته وسادهم ببلاغته حتى اوجس منه شرًّا ائمة المسيحيين. واليك ما قاله عنه مار افرام السرياني الشهير في ميامره :

« ابدع برديصان الاغاني وجمع بينها وبين الانغام الموسيقية — الّف الاناشيد وادخل فيها الاوزان — قسم الالفاظ اقساما ووزنها اوزانا — هيأ لسامعي الغوية سمًّا قاتلا مغشى بالحلاوة — فلم يتمكن المرضى من انتقاء الدواء الناجع فيهم — حاول ان يتأثر داود (النبي) ويتزين بجماله — صبأ الى ذلك المديح فالّف مثله — مائة وخمسين نشيدًا »

وقال هرمنيوس (ويقال هرمون) بن ديصان المبدع المثلى في القصيد والقريض حتى فاق والدهُ في هذا المضمار الّا ان الدهر ابى ان يصون لنا تأليف هذه البدعة لاقف على مذهبها تام الوقوف ولا يبعد ان أئمة الدين المسيحي محوا آثارها بعد ان رجع اشياعها الى النصرانية فاستأصلوا بإبادتها شأفة اباطيلها ونجوا من شرّها وضرّها. وجلّ ما نعرفه عنها مأخوذ من كتاب برديصان المعنون « بشرائع البلاد والممالك » الذي صانته يد الصروف فكافح الدهر. وما عدا هذا المصدر نجد نتفًا في كتب المؤرخين ترمي الى هذا المقال ونقع على بعض قصائد

ان البرديصانية انتشرت في الرّها ونواحي البطائح (وهي بطائح العراق الشهيرة) والصين وخراسان وهناك أمم منهم متفرقون لا يُعرف لهم مجمع او بيعة (١. وبقيت هذه الشيعة عالية الكعب وكان انصارها من نخبة القوم المهذبين والمثرين حتى سنة ١٣٥ م. فجدّ رابولا اسقف الرّها الشهير في ردّ اشياعها الى الكثلكة الارثوذكسية وقطع دابر المفسدين (٢

٣ : البرديصانية ومار افرام السرياني

يقول القديس افرام السرياني في احدى قصائده :

١) راجع كتاب الفهرست لابن النديم ص ٣٣٨

٢) راجع سيرة رابولا في كتاب لادِ فريك وعنوانه S. Ephræmi... Opera Selecta, Oxford, 1865, p. 191

« ان رجاءنا ليس على الكائنات السبعة التي يعتقد بها برديصان . فمحروم من يقول كما قال برديصان ان النار والطل متأتيان عن هذه الموجودات السبعة . ومحروم من يعتقد نظيره ان السيول والفيضانات منها . ملعون من يقول مثله ان الثلج والجليد منها . ملعون من يقول مثله ان الزرع منها . ملعون من يقول مثله ان الاثمار منها . ملعون من يقول مثله ان الغلاء والرخص منها . ملعون من يقول مثله ان الصيف والشتاء منها . فليكن ملعوناً من يقول مثله ان كان ذلك رجلاً او امرأة . وليكن ملعوناً من علّق رجاءهُ على السباعيات . ملعون من جحد خالقه ووهب السلطات للسباعيات . ملعون من يقرأ الكتب ويضادها . ملعون من يقرأ كتب الانبياء ولا يعمل بوجبها . ملعون من يقرأ كتب الرسل ويعاكس اقوالهم »

وفي موضع آخر يقول :

« ان داود (النبي) لم يقل للكائن كائنات كما قال برديصان لأنّ[1] الكائن واحد واسم الكائن يضادّ الكائنات التي لا توجد (. . فان كانت اسماؤهم واحدة يجب ان تكون طبائعهم واحدة . . . . (الى ان قال) – فيستنتج من ذلك ان لا طبيعة بدون علة الّا طبيعة واحدة ولا كائن الّا واحد . امّا برديصان فانه يخلط الاسم والطبيعة بغيرها . اذ ان جميع الخلائق قد خلقت أيها الاخوة فان كان اسمها واحداً فطبائعها تختلف حسب مشيئة الخالق . ومن اعتبر ان بعض الكائنات لم يكن الخالق علتها وجعلها متساوية فانه يريد ان يغيّر طبيعتها ويجعل اسمها واحداً »

: البرديصانية حسب تيودور برقوني

ان هذا المؤرخ السرياني يتكلم عن البرديصانية في كتابه الاوسكوليون الذي عثر الموسيو بونيون على نسخةٍ منه تامة فنشر شيئاً منه في كتابه « اقداح خوابير » وهو فصول تتعلّق بالبدع . لكن فيه من الرموز الكثيرة والاحاجيّ المغلقة والحشو والخلط والهذيان ما يُزعج الخاطر ويُبرم النفس . وقد اعترف الموسيو بونيون بانه لم يفهم ذلك الهُراء بل ترجمهُ الى الفرنسيّة حسب الالفاظ الكلدانية ليس الّا . ونحن حاولنا ايضاً ان نفكّ تلك المعضلات بمؤازرة بعض اقسّة الكلدان في بغداد ممّن قبضوا على ناصية اللغة ففشلنا في مسعانا . وقد رأى موسيو بونيون في المسألة رأياً نظنّهُ مصيباً فيه وهو ان المؤلف عمد الى هذا الانشاء ليكتم عقائد المذهب ويخفي اسرارهُ بين ثنايا التعقيد ان لم تكن يد النسّاخ قد حرّفت المعاني وهـذا ممتنع لان البحث على نسقٍ واحد والالفاظ تأخذ بعضها برقاب بعض من اول الفصل حتى

---

1) وقصد افرام بهذا القول ان واجب الوجود ذات واحد . وبرديصان يزعم كثرة الذوات الخالقة

آخره. وطريقة برخوني في ذكر المذهب ومحاولته تشويه حقائقه تؤيد رأينا في ان اجدادنا المسيحيين هم الذين سعوا في استئصال الكتب البرديصانية

ويثبت ثيودور برخوني وجود اواصر قوية تجمع بين الوالنطية والبرديصانية وانّ هذه نسخت الوالنطية. ويذهب الى ان برديصان كان تلميذ والنطس وانكر كلاهما قيامة الاجساد ولم يقبلا الشريعة (اي توراة موسى) ولا الانبياء. ألا انهما رغماً عن انكارهما التوراة يوردان منها نصوصاً وآيات تؤيد مذهبهما على ما يزعمان وكانا يسلّمان بصحة بعض الكتب القصصية المشحونة بالاحاديث الفرية ويعتقدان بوجود ثلاثمائة عالم ذكوراً واناثاً ولدوا من الآب العام ويدعونهم آلهة ويزعمان ان جسد المسيح مرّ بمريم مرور الماء بالميزاب. واليك الآن تعريب النصّ الكلداني على علاته عن لسان برديصان:

«وُجدت خمس موادّ منذ الازل وكانت قارة تائهة الّا انها تحرّكت اخيراً وصادفت ريحاً صرصراً فساقتها والتفت كلُّ مادّة بأخرى. ثم اتّقدت النار في الغابة وجد دخانها القاتم ولم تكن تلك بنت النار فتعكّر الهواء الصافي. فاعترجت بعضها وهجم مبدأها الني (؟) وبدأت تشوش وتتنابذ مثل الحيوانات الضارية فنطق حينئذ سيّدها بكلام السلم وأمر الهواء بالسكون فسك الهواء تحته. وهبَّ حينئذٍ هواء الاعالي واخضع البلبلة بالقوة وتدهورت الى لجج عميقة. فارتقش الهواء بنفسه (؟) واستتبّ الهدوء. وسادت السكينة وتمجّد الله في حكمته وارتمت آيات الشكران الى رحمته وكوّن جميع المخلوقات الدنيئة من مزيج المواد الباقية. وان جميع الطبائع هي عاملة في تنقية الطينة الرديئة. فتأخذ منها ما خالطها»

هذا ما قاله برخوني عن البرديصانية وهو الفاظ بلا معنى تستكّ منها الاسماع. وغاية ما يفهم من روايته ان برديصان كان يعتقد بخمس موادّ تقوم بذاتها منذ الازل اضطربت وتبلبلت وخضعت لأمر سيّدها وركنت الى الهواء والسكينة. ويفهم من قوله «سيّدها» انه كان يعتقد باله واحد قدير نافذ السلطة على هذه المواد الازلية وهو حكيم يليق به التمجيد. وكان يعتقد بوجود موادّ أخرى صنع الله منها الاشياء الدنيا الخ. فيشبه هذا المذهب مذهب ماني

٥: ابن العبري وكتاب اسفار الاسرار

قال غريغوريوس ابو الفرج ابن العبري: ان برديصان كان ينكر القيامة ويعتبر الجماع عفافاً ويزعم ان في كل شهر يبرز القمرُ أمُّ الحياة نودهُ ويدخل في الشمس ابي

الحياة فيقتبس منها روح الصيانة والحفظ ويوزّعه على العالم

وقال صليبا بن يوحنا القسيس الموصلي من رجال القرن الرابع عشر في كتابه اسفار الاسرار ما نصه (عن نسخة خطيّة):

بَرْصُودان ويقال انه برديصان وهذا كان يعتقد ويعلم ان الخاطئين في يوم القيامة لا يخلدون في نار جهنم وانّ جميع الناس صاروا لسبب الذنوب والخطايا في العذاب تحلّ عليهم رحمة الله ويتخلصون (كذا) عند انقضاء المدة المحتومة عليهم من الله حتى ان الشياطين ايضاً يرحمهم ويرفعهم الى ما كانوا عليه من قبل وان الاشرار والائمة والابرار الصالحين يتحدون بعضهم مع بعض في النعيم الدائم وحينئذٍ تكون كلمة بولس القائل: ان يكون الله هو الكل في الكل ويرجع الكل اليه لأنه منه صدر بحركة المبتدا

رابني ذكر بَرْصودان واستحكمتْ فيّ عُرى الشكّ والارتياب من وصف مذهبه وصفاً يختلف كل الاختلاف عن وصف المؤرخين . وكأني بالمؤلف قد اراد ذكر بدعةٍ غير البرديصانية فخلط بينهما . لكنّ امراً يستوقفني عن بتّ الحكم في هذه القضية وهو وورود ذكرهذه البدعة بين البدع المشابهة لها والمعاصرة لها مثل الوالنطية والمانويّة وعلى كل حال فان المؤلف ليس بثقةٍ اذ بينهُ وبين البرديصانية عدة قرون وانهُ لا يذكر في مؤلفه مصادر مآخذهِ والله اعلم

٦ : البرديصانية والمؤرخون العرب

١ : ان ابا محمد عبدالله بن المقفع ترجم كتباً كثيرة من كتب الملاحدة من الثنوية المعروفين بالزنادقة كالمانوية والمزدكيّة . وقد روى جعفر بن سليمان عن المهدي انه قال: «ما وجدت كتاب زندقة قطّ الّا واصلُه ابن المقفع» . ولا بدّ انه تعرّض لذكر الديصانية ولكن لم تقع كتبه في ايدينا ولعل الزمان يطلعنا عليها يوماً في احدى الزوايا

٢ : قال ابن النديم في كتاب الفهرست (ص ٣٣٨) ما مفادهُ :

الديصانية انما سُمّي صاحبهم بديصان باسم نهرٍ وُلد عليه وهو قبل ماني والمذهبان قريب احدهما من الآخر . وانما يتخالف في اختلاط النور بالظلمة فان الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين: فرقة زعمت ان النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه . وفرقة زعمت ان النور اراد ان يدفع الظلمة عنه لمّا احسّ بخشونتها ونتنها فشابكها بغير اختياره . ومثال ذلك ان الانسان اذا اراد ان يرفع عنه شيئاً ذا شظايا محدّدة دخلت فيه فكلّما دفعها ازدادت ولوجاً فيه . وزعم ابن ديصان ان النور جنس واحد وان

الظلمة جنس واحد . وزعم بعض الديصانية ان الظلمة اصل النور وذكر ان النور حيّ حسّاس عالم وان الظلمة بضد ذلك عامية غير حاسّة ولا عالمة فتكارما

٣ : جاء في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل للامام ابي محمد بن حزم . في الكلام على من قال ان فاعل العالم ومدبّره اكثر من واحد :

(واما الفرقة الثانية) فانها تذهب ان العالم هو مدبّروه لا غيرهم (كذا) البتة وهم الديصانية والمرقونية والمانية القائلون بازلية الطبائع الاربع بسائط غير ممتزجة . ثم حدث الامتزاج فحدث العالم بامتزاجها . فاما المانية فانهم يقولون ان اصلين لم يزالا وهما نور وظلمة وان النور والظلمة حيّة وان كليهما غير متناهٍ الا من الجهة التي لاقى منها الآخر واما من جهاته الخمس فغير متناهٍ واحد جرمان . ثم لهم في وصف امتزاجهما اشياء شبيهة بالخرافات وهم اصحاب ماني ... هو (اي ماني) وديصان متفقان في كلّ ما ذكرنا الا ان الظلمة عند ماني حيّة وقال ديصان - هي موات ... (الى ان قال) وعمدة ما يعوّل عليه القائلون بان الفاعل اكثر من واحد استدلالان فاسدان احدهما هو استدلال المانية والديصانية والمجوس والصابئة والزرادقية ومن ذهب مذاهبهم وهو انهم قالوا وجدنا الحكيم لا يفعل الشرّ ولا يخلق خلقاً ثم يسلّط عليه غيره وهذا عيبٌ في المعهود . ووجدنا العالم كلّه ينقسم قسمين كل قسم منهما ضدّ الآخر كالخير والشرّ والفضيلة والرذيلة والحياة والموت والصدق والكذب فعلمنا ان الحكيم لا يفعل الا الخير وما يليق به وعلمنا ان الشرور لها فاعل غيره وهو شرّ مثلها . اه

٤ : ورد في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ذكر الديصانية فنورد كلامه بحرفه الواحد لما فيه من الفوائد والدُّرر الزوائد : قال :

الديصانية اصحاب ديصان اثبتوا اصلين نوراً وظلاماً فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشرّ طبعاً واضطراراً . فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شرّ وضرّ ونتن وقبح فمن الظلام . وزعموا ان النور حيّ عالم قادر حسّاس درّاك ومنه يكون الحركة والحياة . والظلام ميت جاهل عاجز جماد موات لا فعل ولا تمييز وزعموا ان الشرّ يقع منه طباعاً وخُرقاً . وزعموا ان النور جنسٌ واحد وكذلك الظلام جنس واحد وان إدراك النور إدراك متّفق وان سمعه وبصره وسائر حواسه شيء واحد فسمعه هو بصره وبصره هو حواسه وانما قيل سميع بصير لإختلاف التركيب لا لأنها في نفسها شيئان مختلفان . وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسّة وانما وُجد لوناً لأن الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة ووجد طعماً لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب . وكذلك نقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومجسّتها . وزعموا ان النور بياضٌ كلّه لم يزل يلقى الظلمة باسفل صفحةٍ منه وان الظلمة لم تزل تلقاه باعلى صفحةٍ منها واختلفوا في المزاج والخلاص . فزعم بعضهم ان النور داخَلَ الظلمة والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذى بها واحبّ ان يرققها ويلينها ثم يتخلص منها

وليس ذلك لاختلاف جنسها ولكن كما ان المنشار جنسهُ حديد وصفحتهُ ليّنة واسنانهُ خشنة فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بلينه حتى يدخل تلك الفروج ولا أمكنه الّا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول الى كمال ووجود الّا بلينٍ وخشونةٍ . وقال بعضهم بل الظلام لمّا احتال حتى تشبّث بالنور من اسفل صفحته فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويدفعها عن نفسه فاعتمد عليه فلجّ فيه وذلك بمنزلة الانسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيشد على رجله ليخرج فيزداد ولوجاً فيه فاحتاج النور الى زماناً (كذا) ليعالج التخلص والتفرّد بعالمه . وقال بعضهم ان النور انما دخل الظلام اختياراً ليصلحهُ ويستخرج منهُ اجزاء صالحة لعالمهِ فلما دخل تشبّث به زماناً فصار يفعل الجور والقبيح اضطراراً لا اختياراً ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه الّا الخير المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الضروري والفعل الاختياري . اه

وعندي ان الشهرستاني ابدع وأجاد في كتابتهِ عن هذه الشيعة . واسهب في الكلام عنها وأطلعنا على كثيرٍ من عقائدها . ومن قابل بينه وبين ثيودور برخوني فهم كثيراً من اقوال الكاتب الكلداني الذي بذل وسعه في اخفاء حقائق هذه العقيدة بالتعقيد والهراء خشية نشر تعاليمها بين ظهراني قومه وبَعْث ميتها من بين الرموس والاجداث . ولكن الشهرستاني من رجال القرن الثاني عشر للمسيح وتلك الشيعة قد انطفأ سراجها منذ القرن الخامس فبينها وبينه ماينيف على سبعة قرون فمن اين اقتنص أوابدها وشواردها ؟ وكيف تسنّى له الوقوف على مصادرها ومواردها؟ وهي نشأت قبل الاسلام باربعة قرون واندثرت بنحو قرنين قبلهُ . وكان منبعها بلاد الرومان وانتشارها في بلاد الفرس وكانت السريانية لغة زعمائها واشياعها . فكيف توصّل الى معرفتها ؟ . فما أقوله عنه اقوله ايضاً عن ابن النديم وابن حزم . فلو افادنا اولئك الكتبة عن مواردهم ومصادرهم ومناهلهم لكفونا مؤونة الشك واغنونا عن مصاعب الارتياب وزادوا ثقتنا بهم وأطلعونا على كتب كتبها المسيحيون فُقدت اليوم .

٥ : وذكر المقريزي هذه البدعة ايضاً ولم يَستقصِ

٧ : اراء بعض الاوربيين في البرديصانية

: ان اول من ذكرها القديس ايريناوس (١٤٠—٢٠٠م) وتلميذه هيوليتس وايبفانس وثيودورس . وهذان الاخيران قالا عن برديصان انه تلميذ شتينس

(Schutinos) . وقد ذكرها اوريجانس وغيرهم من العلماء وجميعهم مُتَّفقون على ان بردیصان كان ادرياً . وذكرها اوسابيوس ونشر في كتابه « التمهيد الانجيلي » طائفةً من كتاب القدَر لمبتدعنا الشهير . ثم ان المؤلف المعروف باسم كليمنضوس وَهْماً (Pseudo-Clément) نشر نتفةً ثانية من هذا الكتاب في مؤلفه المسمى (Recog-nitiones) وذلك في الجلد الحادي عشر

٢ : قال الاب رُرْبكر في تاريخه العام للكنيسة (٥ : ١٤٩-١٥١) ما ملخصه :

تحمّس بردیصان بضع سنوات للكثلكة وناضل عنها بما فتق الله عليه من جودة القريحة وبما أنزل على لسانه من الفصاحة والبلاغة وسخّر معرفته بامته في سبيل دحض الهراطقة والوثنيين . وكتب المقالات والنُبذ مفنّداً بها البدع المأثورة يومئذٍ في بلاد بين النهرين ومن تلك البدع المرقيونية وترجمت كتبه ومؤلفاته الى اليونانية ، ومن كتبه كتاب القدر . وقد رفض رفضاً باتاً التماس ابولونيوس الفيلسوف الرواقي ونجيّ الامبراطور مرقس اوريليوس ، اذ اوعز اليه ان يجحد النصرانية ارضاءً للامبراطور . فعرّضه رفضُهُ هذا خطر الموت نظراً الى ما انطبع عليه الامبراطور من الفظاظة والقاقة . واستحق بفعلته هذه لقب « المعترف » ولكنّه تطوّح بعدئذٍ في اضاليل الوالنطية . وانشأ اخيراً بدعته البردیصانية

(ولم يزدنا المؤلف علماً عن عقيدة المبتدع الّا ما قاله عن كتاب القدَر)

٣ : معجم لاروس الكبير (١ في مادة بردیصــان . في هذا المعجم شيٌ مفيد عن البدعة نورد تعريبه . قال بعد ايراد ترجمة بردیصان :

« كان هذا الرجل في بادئ امره مفضالاً متوقد الفكرة الّا انه ما عتّم ان احدث بدعاً عظيمة ولم يحترم نصوص التوراة الّا قاصراً وحذا حذو جميع فلاسفة عصره في حلّ المعضلة الكبرى في علة وجود الشرّ في العالم وده ! واجب الوجود بالاب المجهول وساوى بينه وبين المادّة الخالدة وزعم ان الشيطان ولد من اقيم الشرير والردي منها . فولد للاب المجهول من زوجه (الفكرة ؟) ابنٌ دعاه بردیصان المسيحَ وانثايت التوبةُ المسيحَ فكان له قرينة او اخت وهي الروح القدس وولد من المسيح وروح القدس قرانان (٢ الارض والماء والنار والهواء (٣ وبها خلق العالم المنظور باجمعه بمؤازرة ثلاثة قرانات اخرى جديدة . وانضمّ الى هذه القرانات السبعة سباعيةٌ أُخرى وهي الارواح السبعة التي تولّت تدبير الشمس والقمر والسيارات الخمس وان

(١ Grand Dictionnaire Universel du XIX^e siècle, par P.Larousse,p.292

٢) القران : تعريب الكلمة الفرنسية (Syzygie) ٣) هذا يترع الى رأي الاقدمين الذين كانوا يقولون ان اصول المواد اربعة النار والهواء والماء والارض وتسمى عندهم بالأُمّهات والاسطقسات والموادّ والاركان

٣ جنيا(١) مع ٣٦ روحا كوكبيا ساهاشيوه(٢) تدبير الكل وجاتم الطبقات(٣) هو التدبير السادس
ولم يرد المبتدع بكلمة تدبير «تدبيرا» آلياً بل شرائع ادبية : واموراً شديدة وغرايات
مقيدة بتلك امضاء القرارات الالهية ولم يكن تدبيرها سهلا
واما قرينة المسيح التي يسميا روحاً(٤) او صوفيا اي الحكمة (Sophia Achamath) فأحدث
بلبلة في الخليقة كلها عندما هجرت قرينها الالهي الا انها ندمت بعد ذلك على فعلها هذه وارادت ان
ترجع الى النظام الكامل فكان لها المسيح «نورا رحيما» واخذها الى حضن مقر الكمالات واذنب
لهذا الاقتران مأدبة معنوية او سرية «ذكرى لها» (وعلى رأيه) ان هذه الحكاية رمزية مفادها
ان قرينة المسيح هي النفس البشرية المشتاقة للتوبة فيشوهها «نظر الاشياء المحسوسة» الا
انها لا تبطئ ان تشعر بالندامة فتترق الى التراجي في حضن النظام والكمال وتشتد شوقاً الى
مشاطرة الارواح في مأدبة الاثنيات القدسي والالهي ... وان النفس البشرية التي خلقت على
صورة الله نفذت الشريعة ابتداء بالموذجها ووجب عليها ان تكفر عن ذنوبها فطردها الخالق من
الجنة وربطها بجسد شهواني فكان لها سجناً . وزعم برديصان ان الجسد يمثل القصة الجاسد التي
البسها الله آدم وحواء بعد سقوطهما في الخطيئة وامعن برديصان في البحث عن التوسعة في
آراء اليونان القدماء الا انه اوصل بحثه بالشائد الدرامية مما يقارب تعاليم الكنيسة ومزج بها
آراء عن الانتخاب . وتبماً لرأيه أن النفوس لم تكن خاضعة بادئ بدء للجسد بل كان الكل خاضعاً
لنواميس القضاء والقدر . ولم ترتبط النفس بالجسد الا بعد الخطيئة واستنتج من هذا المبدأ ما
يأتي : ١ : لم يتخذ المسيح جسد بشر . ٢ : اننا لا نبعث يوم الحشر بجسدنا الارضي بل بجسد
آخر سماوي حساس وانما هذا الجسد كان مقرّ نفسنا قبل الخطيئة . وذكر لاروس بين تلامذة
برديصان رجلاً غيوراً على مبادئ هذه البدعة سماه مارينوس اه

٦ : ان العلماء الذين ذكرهم معجم الاعلام المسيحية الانكليزي في مادة
برديصان(٥) وهم هاهن (Hahn) ومركس (Merx) وهلجنفلد (Hilgenfeld) حاولوا
ان يدرسوا هذه البدعة بمقابلتها مع البدع الثنوية التي كانت منتشرة آنئذ في الجزيرة .
ويتبادر هذا الاسلوب عفواً الى الفكر اذا أقدم الانسان على درس هذه البدعة ويرى
ان المواد التي تقع بين يديه الآن ما يُبنى على الحدس والفرض لا يخلو من اغلاط
فظيعة . وسنشر شيئاً من آرائهم في كتابنا «نشر الدفين في مذاهب الادريين والثنويين» .

---

١) تعريب كلمة (génie) الافرنجية فهي توافقها اتمّ التوافق مبنى ومعنى . جاء في القاموس :
الجنّ خلاف الانس او كل ما استتر عن الحواس من الملائكة والشياطين
٢) تعريب كلمة «doyens» من باب اطلاق لفظة الشيخ على الاستاذ والعالم وكبير القوم
باعتبار الكبير في العلم والمقام ٣) تعريب لفظة «hiérarchie»
٤) تعريب لفظة pneuma
5) Dictionary of Christian Biography
Hilgenfeld: Bardesanes, der letzte Gnostiker

٥ : نشر المستشرق كورتون كتاب القدر برمّته معتمداً على مخطوط سرياني يرتقي الى القرن السادس او السابع مع ترجمته الانكليزية وعليه اعتمدنا في ١٠ يأتي فنحيل القرّاء اليه (١ . وللمستشرق الالماني ماركس المذكور آنفاً كتابٌ في برديصان وترجم فيه الى الالمانية كتاب القدر (Bardesanes von Edessa.)

٦ : كتب الابيل نو (l'abbé Nau) مقالةً مطولةً في الجريدة الآسيوية تموز – آب سنة ١٨٩٩ وشفعها بكتاب دعاه "بردیصان المنجّم" (٢ ويذهب الابيل نو ان بردیصان كان فلكياً وان القديس افرام لم يدرك مذهبهُ في علم الهيئة فنسب اليه الادريّة وهو براء منها بما كان راسخاً في فكره من المبادئ الادريّة الرائجة في ذلك العهد . وقد تبع المؤلفون الذين عقبوا القديس افرام اراءه وكتاباته في هذه الشبهة

٧ : ان صاحب كتاب الآداب السريانية في اللغة الفرنسية تعرّض لذكر هذه النحلة في الفصل الذي عقده في كتابه في الفلسفة عند السريان (٣ . فبعد ذكره آراء بعض الكتبة في بردیصان وتقديره كتابَ القدر قال :

«لا يظهر من فلسفة بردیصان انه كان يعتقد بان فاعل العالم ومدبّره كان غير واحدٍ واختم ذكور واناث ولم يعرف القرانات والروحانيات ولم يسلّم بسآراء أخرى ادريّة لا بل يظهر بردیصان في كتاب القدر نصرانياً ويعتقد بالإيمان الارثوذكسي اعتقاداً لا يقلّ منزلة عن اعتقاد السريان الذين عقبوه . فاقرأه اذ كان يعتقد بوجود الارواح الفلكية او جنّ الافلاك . وكان غريغوريوس ابن العبري في القرن الثالث عشر يعتقد بتأثير الكواكب على العالم الارضي . ولهذا قد استغلق علينا فهم بدعة بردیصان وصعبت معرفة ماهيّتها على حقيقة امرها ولكن لا يتسنَّى انكارها بازاء شهادة اباء الكنيسة الاقدمين وتفنيدهم لها »

٨ : وقد ذكرها رنان في كتابه المعنون "مرقس اوريليوس" (ص ٤٣٦–٤٣٩) واجاد في وصف بردیصان الرّهاوي فمن اراد زيادة فليطالع المقال في مظانه . وذكره ايضاً في تاريخه للّغات السامية قال "ان بردیصان وتلميذه لبرونا الّف كلٌ منهما كتاباً تاريخياً وان منهج بردیصان اللغوي كان منهج الكلدان القدماء وان الاوزان الشعرية السريانية التي تعرف بالاوزان الافرامية ادخلها بردیصان في اللغة نقلاً عن اليونانية

١) راجع Cureton : Spicilegium Syriacum, *London*, 1858
٢) Bardesane l'Astrologue: le Livre des Lois des Pays, *Paris*, 1899
٣) R.Duval : Litt. Syriaque, p. 436 - 439

٨ كتاب شرائع البلدان وآراء برديصان

قبل ان نستخلص آراء برديصان من كتابه المذكور يحق لنا ان نزيد في وصف هذا الكتاب شيئاً عمّا سبق وقلناه في تضاعيف بحثنا هذا. لم يُعرف هذا الكتاب باديء بدءٍ الّا من تضمين ذكره اوسابيوس وكليمنضوس في كتابيهما. الى ان وقف كُرتون على النص السرياني في خزانة الكتب البريطانية ومن ثمَّ توالت ترجمات هذا الكتاب الى اللغات الاوربية ... كتاب القضاء او المحاورة في القدر لا يُعرف عند السريان بهذا العنوان بل باسم كتاب شرائع البلاد نقلاً عن عنوان الفصل المتورد في هذا الكتاب في ايراد شرائع البلاد المختلفة حجّةً على حرية الانسان المطلقة وهو على نسق محاورة دوّنها في الكتاب فيلبوس احد تلامذة برديصان. وان ثقات المستشرقين لا يشكّون في انه كتاب سريانيٌّ معتمدين على بعض اسماء وردت هناك مثل شمشجرام وآود، قائلين انهما علمان سريانيّاً الاصل لا بل رُهاويّان. وقد ورد هذان الاسمان وغيرهما من الاسماء في آثار الرُّها القديمة. وان بعض الانباء الواردة هناك تدلّ على ان الكتاب مؤلَّف في بلاد ما بين النهرين. الّا ان إيوَلد وهلجنفلد ذهبا الى ان النص السرياني مترجم عن اليونانية. فاثبت كُرتون في مقدمة كتابه نقلاً عن اوسابيوس وثيودورس ان محاورة برديصان تُرجمت من السريانية الى اليونانية منذ عهد عهيد. والكتاب موجّه الى شخص يدعى انطونيوس. ويرتأي اوسابيوس انه لوقيوس فيروز (؟) الذي زار الرُّها سنة ١٦٥ وكان عمر برديصان يومئذٍ ١١ سنة فلا يحتمل انه كتب اذ ذاك محاورته هذه. والأصحّ ان يقال انها موجّهة الى القيصر انطونيوس الحمصي المعروف باسم «هليو غبال» الذي انفذ اليه وفد من الهندستة ٢٢٠ قرّ ببلاد بين النهرين

كان يعتقد برديصان في اله واحد خالق العالم غير منظور وغير مخلوق. اما سائر الكائنات او العناصر (الاسطقسات) فلها حدود وشرائع تخضع لها ولا يسوغ لها ان تتملّص منها ولهذا لا تُرمى لها عن افعالها الّا بعضها مثل الانسان فانه يتمتع بحرية اعماله، بغضّ النظر عن الضرورات المتعلقة بطبيعته، فيعمل الخير والشر باختياره وعلى هذا المبدأ يُسأل عن افعاله. وقد نبذ برديصان مذهب الكلدانيين مذهب القدَر الذي كان اس تعاليم المنجّمين. كما انه نبذ مذهب الفلاسفة القائلين بان الانسان سيّد نفسه، واراد ان يبيّن ان اخلاق الشعوب لا تتأتى من الطبيعة ولا من ضروريات

الافلاك . فاورد مثلًا على ذلك قائلًا : « ان البلاد المختلفة والبروج المتعدّدة التي يولد فيها النصارى هي مثل البلاد والبروج التي يولد فيها البرابرة . وهم (اي النصارى) مع ذلك يتبعون شرائع واحدة في جميع تلك البلاد وان كانت شرائعها تختلف كل الاختلاف عن شرائعهم . وما قولنا في النصارى الذين نحن من معتقدهم وهم منبثّون في جميع الاقاليم المختلفة الّا انّهم يُدعون باسمٍ واحدٍ عند كل الشعوب . فالنصارى الفريثيون لا يتزوجون باكثر من امرأةٍ مثل بني جلدتهم الفرثيين ونصارى بلاد ماذي لا يلقون جثة موتاهم للكلاب . ونصارى بلاد فارس لا ينكحون بناتهم ولو انهم فُرس . . . (الى ان يقول) ولا يستسلمون لشرائع البلاد التي يسكنونها حيث كانوا ولا يتخلّقون باخلاق اهاليها الساقطة . وان البرج الذي ولدوا فيه لا يضطرّهم ان يأتوا ما نهاهم عنه سيّدهم . . . » ويستنتج من هذا ان الانسان حرّ

وعلى رأي برديصان ان الانسان تحت تأثير ثلاث قوّات وهي الطبيعة والقدر والارادة . والقدر عندهم هو تلك القوة التي اودعها الله في الكواكب وهي تنظم حالة عيشتنا حسب السير الذي خطّه لها . وان هذا التأثير يتمّ حين ولادة الانسان اذ يقرّر نصيبهُ . فتنزل آنئذٍ النفس العاقلة في النفس النابتة وهذه تهبط في الجسد وحينئذٍ تُقرَّر حظوظ البشر من سعادة وبؤس حسب اقتران النجوم بالعناصر وروابطها ببعضها

٩ خلاصة البحث

ان في صدر النصرانية كانت الفلسفة الآبائية (la Patristisque) قائمة على قاعدة الايمان وما فتئت ان تطوّرت فلسفة الايمان (πίστις) بفلسفة العرفان والحكمة (γνῶσις) فانتشرت مزدهرةً ثابتة الاركان بين جماعات المسيحيين غير ميّالة الى الجدل والمناقشة ورغماً عن هذا فقد حاولت الادريّة بادئ بدء ان تستنبط مذهباً مقبولًا في نشوء العالم تجعله اساً لمذهبها الجديد الذي نشأ من امتزاج الاديان المنتشرة في بلاد السريان امتزاجاً اوجده الخيال المهيّج المتوقد . وان اخذ هذا الدين مأخذه من الفلسفة اليونانية الّا انه افضى الى قضايا سقيمة اضطرّت الكنيسة الى ان ترفضها . ويظهر ان فكر الخطيئة والخلاص هو اول ما دفع القوم الى إحداث مذهب الادريين . فدرسوا هذه النظريّة ووفّقوا بين الفلسفة اليونانية واساطير الاديان

الشرقية وهكذا نشأ مذهب والنطس في اعتقاده القائل «انهالت الألوهية على جماعة الروحانيات فنشأ منه الفراغ وان الفراغ اصلي كما انه ازلي وظهرت المادة بجانب الصورة وظهر الشرّ بجانب الخير وتكوّن عالم روحي من ايلاء الألوهية لـذاتها في الكمال. فكان العالم الجسماني عملاً روحانياً ساقطاً أودعت طبيعته الذاتية للمادة. وكان ساتُرنس الادري يعتبر المادة ملك الشيطان والنور مملكة الله. وكان يعتبر العالم الادنى كالتخم المتنازع فيه بين الارواح الصالحة والخبيثة وكل منها تسعى لتسودهُ بتنفيذ سيطرتها على الانسان. وقد نحا برديصان هذا المنحى في ميثولوجيته الا انه قال ان الآلهة ذكور واناث فاستمدّت الانثى قوةً سحرتها في تكوين العالم (١

فيظهر مما اطلعنا عليه من آراء المؤلفين انهم مختلفون اختلافاً بيناً في معتقد هذه الشيعة فمنهم مثل القديس افرام وآباء الكنيسة اعتبروها بدعة تضادّ العقائد النصرانية توّاً وكفّروا اشياعها. ومنهم مثل الاب نو وانصاره ارادوا ان يبرّروا برديصان من هذه التهمة وينسبوا اليه مذهباً علمياً لا دخل له بالدين. وحاول لاروس ان يبيّن ان اقواله كلها رموز. اما كتبة العرب فجميعهم متفقون على ان البرديصانية ثنوية المعتقد. وخالفهم دوفال واثبت ان واضعها كان يعتقد بوحدانية الباري معتمداً على نصٍّ من كتاب القدَر الا انه في موضع آخر يدعوه بالادري الشهير. وفي صحيفة اخرى يقرّ بانه لا يقوى على انكار شهادة القديس افرام بكفر برديصان

وبعد هذه الاقوال المتضاربة يمكننا ان نستنتج النتائج الآتية:

١ : لم تنشأ البرديصانية نشأةً واحدة بل ان صاحبها تقلّب في افكاره ومعتقده كما تقلّب بين احناء الاديان فانه ولد وثنياً فتنصّر فشايع والنطوس وختم حياته بفرقته البرديصانية لا بل زاد انصارهُ على بدعته شيئاً كثيراً ولا يُعتمد على كتاب القدر في نقد مذهبه لاختلاف المؤرخين في تاريخ كتابته فربما عدل بعد ذلك عمّا كتبهُ فيه

٢ : كانت مخيلة برديصان متّقدة وهاجية تتأثر بالاشياء تمثلاً يكاد يكون خسوساً فيعبّر عنها بمبتكرات المعاني ويخترع لها المجازات الشعرية والكنايات البديعة وهو ابو الشعر السرياني وصانع اوزانه وكان عالماً باحوال اليونان وفلسفتهم ودينهم وآداب لغتهم ولهذا يجوز لنا ان نحمل كثيراً من اشعاره وقصائده على المجاز

(١ A History of Philosophy by Dr W. Windelband, transl. by H, Pufts.

كما حملها لاروس . ومن امثال ذلك كثير عند الشرقيين كنشيد الاناشيد في التوراة . وكقصيدة ابن سينا في النفس وقصيدة ابن الفارض التي مطلعها « شربنا على ذكر الحبيب مدامةً » مما يحمله المفسرون على المعاني الروحيّة والتنزّل بالذات الالهيّة

٣ : لم يكن فكر برديصان ان ينشئ جامعة دينية جديدة تربط اشياعه بمناسك وشعائر وحفلات وادعية . ولم يذكر احد من المؤرخين مجمعاً او معبداً اجتمعوا فيه لاداء فرائض دينهم الجديد او اوردوا صلوة يتلونها ويتقربون بها الى آلهتهم واربابهم لا بل ان صاحب كتاب الفهرست يقول ان لا مجمع لهم ولا بيعة وجلّ ما قاله مار افرام ان برديصان بثّ تعاليمه بقصائد نشرها بين قومه ومن هنا يستنتج ان فكره الوحيد كان فلسفياً علمياً وانما آراؤه كانت سخيفة يناقض بعضها عقيدة المسيحيين

٤ : ان مذهب برديصان في تكوّن العناصر والعوالم مذهب علمي فيه شيء كثير من الآراء الشائعة في ذلك العصر . ثمّ ان ميل الاراميين الى علم التنجيم وصبوّهم الى دين الشرك دين اوائلهم كانا من اجل مروّجات الديصانية ولهذا انتشرت انتشاراً غريباً . فقاومها القديس افرام ورجال الدين . ومثله اعتقاد برديصان في تأثير البروج والافلاك في مقدرات البشر مذهب شاع بين السريان حسبما قال دروال

٥ : لا يسوغ لنا ان نبرّئ ساحة هذا المبتدع من وصمة الشرك وجلّ ما يقال انه كان ثنوياً حسبما وصفه كتبة العرب وكان يقول بأصلين اصل للخير واصل للشر . وانه لم يكن يعتقد بكتب العهد القديم . وربما قدّدها حسب اهوائه فقبل منها ما وافقه ونبذ ما خالف عقيدته معتمداً بذلك على كتب الادريّة لا سيما في أمر تكوّن العالم

٦ : لا نعرف كيف نوفق بين روايتي بسرخوني وابن العبري وبين رواية كتاب اسفار الاسرار . فانّ المؤلفين الاولين يزعمان ان برديصان كان ينكر قيامة الاموات اما كتاب اسفار الاسرار فيقول انه كان يعتقد بالقيامة وان في الحشر تعمّ رحمة الله جميع البشر فيخلصون ولا يهلك احد منهم فالاجدر بنا ان نذهب هذا المذهب الاخير اذ ان برديصان يقرّ في كتابه شرائع البلاد بحرية الانسان وبتحمله تبعة اعماله وبالنتيجة انه يقرّ بيوم المعاد ولكن معتقده يختلف عن النصارى

الى هذا الحدّ كفاية . وسنتوسع باذن الله في البحث عن هذه الشيعة في كتابنا « كشف الدفين في مذاهب الادريين والثنويين » وكل آتٍ قريب . والسلام ؟

كتاب الكُتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

باب رسوم خطوط الكتب وفصولها (تتمّة)

(٦٥ ب) واعلم انّ احسن ما يكون المدّ في الخطّ الذي تتقارب سطورهُ وتتفرّق حروفهُ لأنّ المدّ ايضاً تفرقةٌ بين الحروف فهو من جنس هذا الخطّ ولذلك يحسن معهُ. وامّا الخطّ المتراصف الحروف المتباين السطور فلا يحسُن ذلك فيهِ الّا في مواضع الضرورة كمبادئ الفصول ومقاطعها واواخر السطور وأعجاز الشعر. واحسنُ المدّ في غير ذلك ما توسّط السطور واقبحهُ ما ابتُدي بهِ. ولا يحسُن وقوع المدّ في سطرَيْن متواليَيْن ولا متحاذيَيْن ولا متجانسَيْن. وكثرة المدّ قبيحةٌ في كلّ حالٍ

واعلم انّ اصوبَ المدّ عندهم ما كان في كلمةٍ على اربعة احرفٍ فصاعداً بعد ان يكون ذلك على قسمةٍ صحيحة. واقبحُ المدّ ما كان في كلمة على اقلّ من اربعة احرف ولا يجوز ذلك الّا عند الضرورة لتتمّة سطرٍ او نحو ذلك ولذلك قالوا: المدّ في حرفَيْن سوء التقدير

ومن بنات الثلاثة ما يجوز مدّهُ. ومن ذوات الاربعة ما يقبُحُ على حسب ما توجبهُ القسمة. فمن المدّ على القسمة في الاربعة ما كان في مثل «مُحمّد» تقرَن الميم بالحاء ثمّ تمدّ وتُجعل الميم والدال بعد المدّ (محـــمد). وكذلك ما شاكل هذا في الاقسام وان زاد على الاربعة

ومن (٦٦ آ) المدّ في الثلثة على أصوَب القسمة ما كان في كلمة اوّلها جيم او سين او عين وفي آخرها ألِف او لام لأنّ كلّ واحدٍ من الالف واللام يقوم مقام حرفين مثل «سَمَاء عَمَاء نَيل جَبَل عَمَل» تبتدي بحرفين ثمّ تمدّ وتجعل الالف واللام بعد المدّة (ســما. عـمـا. نـيـل نـيـل جـبـل عـمـل). فان كان آخر هذه الكلمات او نحوها حرف غير الالف واللام كتبتَ حرفاً من الثلثة ثمّ مددتهُ وجعلت الحرفين الباقيين بعد المدّة لأنّ كلّ واحدٍ من هذه الاحرف يَعدلُ حرفين غير الألف واللام نحو «خـــتم عـــمد ســـتر».

فامّا الاربعة التي يَقْبُحُ فيها المدّ على القسمة فما كان فيها لامٌ او كاف مشكولة مثل «عليم مسكين» كان الصواب في هذا ان تُكتَب العين ثمّ تُمَدّ وتُجعَل اللام بعد المدّة وتكتب الميم ثمّ تُمَدّ وتُجعَل الكاف بعد المدّة نحو «عـليم مسـكين» ولا يجوز ان يُمَدّ ما قبل اليا المتطرّفة في شيء من الخطّ نحو «موسى وعيسى». واذا كانت الدال او الكاف او الرآء او الطآء او نحوهنّ متطرّفة لم يَحسُن المدّ قبلهنّ لأنهنّ يَنفردنَ مثل «جُند سـمك هـنة قبر» الّا انّهم ربّما فعلوا ذلك في الراء خاصّة فكتبوا «قـمـر ضـر». ولا تُمَدّ الكاف المشكولة ولا الكاف واللام مبتدأتين ولا متوسّطتين (66") نحو «كم بكر كيف بلح». ولا يجوز مدّ البآء والتآء والثآء والفآء والقاف والنون واللام اذا كنّ مبتدءآت نحو «بَعْد قَبل لَبَن». وكلّ تآء او ثآء ممدودة فلتكن المطّة من وسطها اذا طالت المدّة ومن ثُلُثَيها اذا قَصُرت في خطّ الامساك خاصّة ولتكن المطّة بعد هذه الاحرف في الخطّ الخفيف من طرفها

٨ ما يَحسُن من ردّ اليآء وتعريقها وما يَقبُح

واعلم انّ ردّ اليآء بمنزلة المطّ ومنه ما يَحسُن ومنه ما يَقبُح وقد قيل: طولُ الردّ بَغيٌ وردُّ المدّ طُغيان. واعلم انّ كلّ يآء وقعت بعد الحروف المرفّقة لا يجوز فيها الّا التعريق دون الردّ. وكلّ يآء وقعت بعد الحروف التي لم تُعرَّق كالطآء والظآء والدال والذال والالف فالردّ فيها جائز. وكذلك اذا اتّصلت اليآء بما قبلها جاز فيها الردّ والتعريق الّا ان يَمنع من ذلك عارض. فاذا اوقعت اليآء طرفًا بعد حآء او عين او كاف لم يَجُز ردّها نحو «حے عے کے» ولكنها تُعرَّق نحو «حي عي كي» (67"). واذا تطرّفت بعد قاف او فآء مبتدأتين لم يَحسُن تعريقها نحو «في قي» ولكن يجب ردّها مثل «فے قے». واذا اجتمعت يآآن متطرّفتان في كلمتين متجاورتين لم يَجُز ردّهما جميعًا نحو «حتے متے» ولكنّ الواجب تعريق احداهما وردّ الاخرى مثل «حتّے متى» ومثل «يصلي علے محمّد» واذا تطرّفت اليا بعد مدّة في كلمة مثل «حـتّى ومـتى» و«يصـلي علے محمّد» فالأجود تعريقها الّا ان يقع شيء من ذلك في قافية شعر فيترك فيه الواجب للتسوية بين صور القوافي

٩ ما يجوز فيه التعوير والادغام وما يَقْبح ذلك فيه

واعلم انَّ اصل كلِّ خطٍّ وعمودَهُ الفتحُ دون التَّعمية والتبيين والتقويم دون الادغام والتَّعوير غير انَّ بعض الحروف يُدْغَم وبعضها يُعَوَّر في الخطِّ الخفيف خاصَّةً في بعض المواضع لسرعة اليد فيه فمَّا يَحسُن ادغامُهُ السين في مثل حَسَنَ وسَمِعَ . والهآء في مثل « مما واليها وبينهم » ونحو ذلك . والكاف المرآة المتصبة اذا تطرَّفت وبعدها واو عطف (67) نحو « عليك واليك » ونحو ذلك . والرآء في مثل « الرحمن الرَّحيم » . والميم في « مُحمَّد وعمرو » . والياآت وما أشبهها قبل نون الجميع المتطرِّفة في مثل « المؤمنين والصالحين وعشرين » ونحو ذلك . ومَّا لا يَحسُن ادغامُهُ السين بعد الكاف المشكولة في مثل « كَسِلَ ونَكَسَ » . ويَحسُن (?) بعد اللام في الخطِّ الخفيف في مثل لسان وطيلسان (لسان وطيلسان) واذا وقعت في الخفيف كسرة بين الجيم والالف او بينها وبين الدال او العين او الكاف او اللام جاز إدغامها وتبيينُها ولا يجوز في غير ذلك ادغامها نحو « محمَّد ونعمة » . والواو والنون تبيَّنان ولا تُدغمان بعد مدَّة في اسفل اللام مثل « عَلَوا وفَلَس » . والميم اذا وقعت بعد مدَّة في الخفيف فالاحسن فيها ان تكون معمَّاة مثل « بسم وتميم » واذا كانت في الثقيل مبتدأة او متوسطة فحقُّها ان تكون مثلَّثة وان كانت متطرِّفة او منفردة فحكمها ان تكون مربَّعة غير معمَّاة . والامساك كالخفيف الَّا في الثلث فانَّهُ يعوَّر فيه الميم المبتدأة والمتوسِّطة . ولا تعوَّر المرقَّة (68)

١٠ ما يَحسُن من الكَسْر والتَّعليق والإلصاق وما يَقْبح

واعلم انَّ التعليق في الكتاب لا يكون الَّا ان يُكسَر قبلهُ حرف او حرفان . والكَسْرُ قبل استتمام الحرف فيحسُنُ عند ذلك التعليق . فاذا لم يكن كَسْر فأخرجهُ مستوياً كالحلقة . وكلّ حرفٍ وصفنا ان التَّعليق له لازم وجآءك حرف معرَّق مثل الميم والزاي والنون والقاف فليكن معلَّقاً من الحرف الذي قبلهُ . وكلّ حرف تكتبهُ قبل الجيم والحآء والخآء المبتدأة ممَّا يُعلَّق بها فليكن على اوساطها . وما جآءك من صاد او ضاد او طآء او ظآء او كاف او دال او ذال اذا اتَّصلت بما قبلها فتكسر قبلهُ كسرةً ثم يوضع الحرف عليه الَّا في الخطِّ الخفيف على ما ترى « مط سص حكم مد

مك • وكلّ حرف قبل الجيم والحاء مما يُلصق غير المبتدأة فليكن على طرفها

١١ ما يحسُنُ من إمالة الأشباه وتسويتها وما يقبُح

(68ᵛ) واعلم انّ السين والشين يجب امالتها الى ناحية يمين الكاتب وكذلك يجب ان يُفعل باشباههما كلّها في تفرقتها وجمعها مثل • يسم حسن حتم عتيد يجبي سلم موسى بحر • الّا ان كلّ شبه يتبعهُ سين او شين مطوطة تُضجع الى اليسار ولا يُلصق حرف بحرف ويُجعل معلّقاً

١٢ شكل الكاف وتعريتها وما يَحسُن من ذلك او يقبُح

واعلم انّ الكاف تكون مشكولةً ومطاقةً ومنتصبة ومُضجعةً فاذا كانت متطرّفة او مفردة لم يَحسُن شكلُها نحو • عُمرك ونعمتك • . واذا كانت مبتدأة او متوسّطة جاز شكلُها وحسُن . والكاف المفردة والمتطرّفة مقدارُ أعلى كلّ واحدة منها واسفلها مقدارٌ واحدٌ شُكِلت او عُرِيت وذلك مثل ك • بك • . وكذلك المُضجعة وهي مشكولة على كلّ حال وشكل الكاف يُستحسن

١٣ معرفة مقادير التّعريق

(69ʳ) واعلم انّ الحروف المعرّقة منها سبعة كبار تعريقاتها متساوية على مقدار واحد وهي السينان والصادان والقاف والنون والياء . وثنتان صغيران على مقدار واحد وهما الراء والزاي واثنان بين الكبار والصغار متساويان ومتقاربان في التعريق وهما الميم والواو

١٤ وجوب الفرق وتركهُ عند اجتماع الامثال

قالوا اذا اجتمعت صادان او طاآن او كافان فلتكونا على مقدار واحد لا تزيد احداهما على الاخرى في كلمة واحدة او كلمات في سطر واحد ولا يتفاضل أسنان السين بعضها على بعض . واذا اجتمعت في كلمة باء وتاء وثاء ونحوهنّ في موضع واحد ثلثٌ واربعٌ منهنّ او اكثر فليُفاضل بينهنّ في السمك لئلا يشبهن السين او ليُشِنّ . وكلّ مشتبهين اجتمعا والتبسا فليُفرّق بينهما امّا بتحقيق وامّا بتخفيف او بادغام او تغوير او ردّ او تعريق او فتح او مطّ او نقط او شكل .

وقالوا اذا اجتمع واوا عطف وجب الفصل بينهما (69ᵛ)

٥ حُسن التقدير وتسوية السطور واختلاف الخطوط

واعلم انّ ملاكَ الخطّ استوآء التقدير ورصف الحروف وتسوية السطور ومدّ ما يَحسن مدُّهُ وقَصر ما يجب قصرُهُ وتعديل قسمتهِ وإفراد ما يَحسُن افرادُهُ والمقارنة بين ما يحسُنُ ان يُقرَن بهِ وفتح ما لا يجب تعويرُهُ وتسوية جَنبَتَي الكتاب وحواشيه وتوسيع فصولهِ والمطّ في اوّل كلّ فصلٍ فيهِ وفي آخرهِ مطّةٌ والجمع لما بينهما من الحروف الّا ان يوجد موضع يَحسُن فيهِ المطّ

ومما يُعدَّل به السطور ان تُجعَل اعالي أَلِفاتها ولاماتها وكافاتها المنتصبة وطآءاتها متآزية على مقدار واحد غير متفاضلة وتُجعل اسافل الحروف المرقّة كالصادات والسينات والنونات والياآت متساوية بمقدار واحد غير متفاوتة وكذلك اسافل المعقَّف كالجيات والعينات فانّها تسلم بذلك من الاعوجاج

واعلم انّ لكل ضربٍ من الكتب ضرباً من التقدير في الخطّ وقد كان (70ʳ) التقدير في كتب الرسائل خاصّةً ان تُبَدّ حروفها فتُجعل متفرّقةً ويقارَب بين سطورها فتكون متدانية وكان التقدير في السجلات على ضدّ ذلك من الجمع بين الحروف والمباعدة بين السطور واجتناب المطّ والفصل فيها غير انّ صيغة حروف السجلّات ايضاً على تلك الصورة سواء لا تُصغَّر ولا تُكبَّر. واما العهود فانّها مخالفة لأثلاث الثُّلثين ولا يعلق في السجلّات ولا الجليل. واما المؤامرات فعلى صيغة حروف الثلثين الّا انّ حروفهُ اصغر. واما الأجورة والفتح فبين الاصل والثُّلثين. واما الاثلاث فمن الاصل الاوّل وتتحرّك فيها اليد ولا يُتحرّى التصحيح. وللكتّاب بعد ذلك اختيارات ومذاهب منها الموافق لما ذكرنا والمخالف. وكلّ ذلك صواب انشاء الله

ــــ اعلان ــــ قد بقي من كتاب الكتّاب بابهُ الاخير وهو الذي ذُكرت فصولهُ في العدد الاوّل (ص ٦٠-٦١) وكان قصدُنا ان ننشرهُ جميعهُ في اعداد السنة الحاضرة فضاق عنهُ المكان ولا يحسُن ان يؤخَّر للسنة التالية فآثرنا نشرهُ على حدة مع بقيّة التأليف وما نضيف اليهِ من الملحوظات والفهارس فنصدرهُ ان شاء الله وافياً تامّاً في اوائل السنة ١٩٢١

مقاتلة الحشرات الضارّة بالزراعة

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمة)

٤ طرائق مختلفة لمقاتلة الحشرات

لا بُدَّ لارباب الزراعة ان يتولوا بنفسهم مقاتلة الحشرات ليحصروا نوعها . ومما يرشدهم الى ذلك معرفة طبائع الحشرة التي يريدون مناوأتها كأطوار وجدانها ولا سيّما طور كيانها المؤذي والزمن الموافق لمحاربتها وملاشاتها كمعرفة الاحوال الجوّية والفصول التي تساعدها على النموّ . ولكلّ حشرة غريزتها في وضع بيضها وطلب طعامها وقوت صغارها . فاذا وقف الزارع على هذه المعلومات تيسّر له ايجاد بعض الوسائل لمحاربة عدوه

فدرس طباع الحشرات اوقف اصحاب البساتين في بعض البلاد على صيانة اصول الشتائل عند نقلها لكي يغرسوها في الارض فانهم يلفّون جذورها الى عمق بعض سنتيمترات بحلقة من القصب او قطعة من الكتان لئلا تقرض الحشرات تلك الاصول بانيابها . وقد عرفوا في اي عمق تسري الحشرات المذكورة وربما وجدوا طريقها الى ان يقفوا على منفذها حيث تبني وكرها وتعشش فيخربون العشّ ويبيدون سكانه

وهكذا بقية الحشرات . ألا ترى كيف يقاتلون البعوض حيثما تفشو حمّى الملاريا والحمّى الصفراء فانهم يسعون باتلاف دودها الذي ينمو في المستنقعات واذ خبروا انّ هذا الدود يحتاج الى استنشاق الهواء يصبّون على وجه الماء قليلاً من زيت البترول فيمتدّ على سطح البركة واذا مسّه الدود اختنق به

وافضل واسطة لمقاتلة الزنابير ليست هي الركض وراءها في الصيف مع الخطر بلسعه وانما هي باتلاف العشّ الذي تبنيه شتاءً في مخاريب الجدران او في البيوت وراء الخزانات وبين اثاث الدار . لأنّ الانثى وحدها تصبر على برد الشتاء دون الذكر فتخلف نسلها الشقيّ في الربيع

اما الكرمة فيصونها الكرّام في شمالي سورية من الدود الذي يقتحمها ليلاً ويختفي في كعبها نهاراً بان يلف ساقها بخرقة مبلولة بمائع لزج . ويصونها الاميركيون في

الولايات المتحدة بأن يدهنوا ساق الكرمة بدبق يدعونه «مغري القوائم» (Tanglefoot) لا يذوب في الصيف وهو مركّب من الراتينج وزيت الخروع وصمغ كوبال. امّا الدود الذي يأوي الى شجرة الكرم فافضل منوال لقتله رشّ الدوالي بالكبريت كما يرشّونها به لمعالجة الرَّمَد

وكثير من الحشرات يُتّقى شرّها باتلاف اعشاشها قبل بلوغ دودها وانتشاره في فصل الربيع. وممّا يعالجون به الاشجار المثمرة التي تجزّ الحشرات اوراقها وتدس بيضها في ثمارها قبل ان يعقد زهرها ان تُرش عليها بعض المسحوقات او الموائع السمّة. ومن الحشرات ما يُنفض عن الشجر نفضاً. كما يفعلون في بعض انحاء اوربة لتطهير شجرة الكرم من حشرة تقرض اوراقها تُدعى غريبوري (gribouri) فيهزّون الجفنة هزّاً شديداً فتتساقط الحشرات في وعاء مجهّز لذلك فيقتلونها — وتُصاد حشرات اخرى ليليّة بواسطة النور لا سيّما بعض الفراشات التي تؤذي شجر البساتين والكرم. فتوقد في الجنينة بعض السُّرج ذات النور الساطع كالاسيتيلين من مسافة الى أخرى. ويوضع كلّ سراج في لكَن او دست مملوء من الماء مع كميّة قليلة من الزيت الثقيل الفاسد فتتهافت الحشرات الى النور وتسقط في الدست ميتة فيقلّ عددها

وقد سبق القول انّ الانسان شركاء في مقاتلة الحشرات فغنيّ عن البيان انهُ ينبغي على كلّ ارباب الزراعة بل على جميع الناس لحاجتهم الماسّة الى الحبوب والغلّات والفواكه ان يحرسوا ويهتمّوا بوقاية وتنمية اعداء الحشرات الضارّة ولا سيّما خشاش الطير المساعد للزرّاع في اتلاف الهوامّ والدود الضارّ. ومن ثمّ ليأمرهم ان يدَعوا الاولاد يعيثون باعشاشهم او يصطادونهم بالدبق

يروي التاريخ عن فردريك الثاني الكبير ملك بروسية انهُ سمع في بستان بلاطه في بُسطدام زقزقة العصافير التي كانت تنقر ثمار شجرة الكرز فتأفّف منها وجعل درهماً لكلّ من يأتيه بزوج منها. فما مرّ عليه ثلاث سنوات حتّى فني جنس العصافير لكنّ عدد الحشرات وضروب الدود المؤذية بلغ مبلغاً عظيماً فاتلف كلّ ثمار الشجر مع بقيّة غلّات البستان فعكس فردريك عملهُ واعطى درهماً لكل من يأتيه بزوج من تلك الطيور

ولعلّ زرّاع سورية الداخليّة يأخذهم الاندهاش لدفاعنا عن العصافير مع ما